الفصل السادس والعشرون

من جنيف إلى استوكهولم

١ — السويسريون : ١٧٥٤ — ١٧٩٨

ان الذين استمتعوا منا بالهدوء وسط جنة الطبيعة فى سويسرة ، وبالإلهام من شجاعة شعبها وأمانته ، يشق عليهم أن يدركوا أن من تحت الخلق الهادىء ، والفلاحة الصابرة ، والصناعة المستقرة التى أعجبت بها أوربا يومها وتعجب بها الآن ، كانت تكمن الصراعات الطبقية — صراعات بين الجنس والجنس . وبين اللغة واللغة ، وبين العقيدة والعقيدة ، وبين الأقليم والأقليم ، وبين الطبقة والطبقة . وكان السويسريون فى نطاقهم المتواضع قد اقتربوا جداً من تحقيق ذلك المثل الأعلى الذى صوره الأب سان — بيير وحلم به روسو وكانط : وهو الاتحاد الكونفدرالى يعقد بين دويلات مستقلة فى شئونها الداخلية ، ملتزمة بالعدل الموحد فى علاقاتها بالعالم المحيط بها . ففى ١٧٦٠ تكون الاتحاد الهلفيتى لدعم الولاء للأمة أكثر من الأقليم . ولتوحيد الحركات المبعثرة للإصلاح السياسى .

وقد قدر فولتير — الذى كان يعيش عن كثب — سكان سويسرا فى ١٧٦٧ بـ ٧٢٠,٠٠٠ نسمه [1] . وكان أكثرهم يفلح الأرض أو يزرع الكروم ، ويسطب المنحدرات إلى ما يقرب من قمم الجبال . وكانت صناعة النسيج فى نمو مطرد لا سيما فى اقليم سانت جالن وكانتون زيوريخ ؛ وكانت مراكز صناعية أخرى بسبيلها إلى التشكل فى جلاروس ، وبرن ، وبازل ؛ أما جنيف ونويشاتل فكانتا المركزين العظيمين لصناعة الساعات . وأنشأ الوكلاء المنتشرون فى أرجاء أوربا من لندن إلى الآستانة (التى كان بها ثمانية وثمانون

منهم) لجنيف تجارة صادر حققت الثراء السريع للمدينة الواقعة على الرون . وكثرت المصارف لأن الماليين السويسريين كانوا قد اكتسبوا سمعة دولية بالأمانة .

وكانت أغلب الكفاءات ، كما هى الحال فى كل بلد ، مركزة فى أقلية من الرجال ، فأدى هذا إلى تركيز الثروة . وكانت الكانتونات بصفة عامة تحكمها أوليجركيات تسلك مسلك أى طبقة حاكمة . فالإشراف رعاة أسخياء للآداب والعلوم والفنون ولكنهم يقاومون كل خطوة للتوسع فى حق الانتخاب . وقد اتهم جبون ، الذى كان يسكن لوزان ، أوليجركية برن بأنها تثبط الصناعة فى الأقاليم التابعة لها ، وتبقى على هبوط مستوى المعيشة فيها عملا بالمبدأ القائل « ان الرعايا الفقراء المطيعين خير من الأغنياء المتمردين »(٢). وقد نظمت جماعات لإلغاء الامتيازات الاقتصادية أو السياسية غير مرة ، ولكنها صدت بقوة الدولة والكنيسة المتحالفتين(٣) . واضطربت أحوال جنيف آنا بعد آن نتيجة حرب الطبقات طوال القرن الثامن عشر . وساد فيها سلام نسبى من ١٧٣٧ الى ١٧٦٢ ، ولكن احراق المجلس البلدى لكتاب إميل (١٧٦٢) فجر الدعوة لتوسيع حق التصويت . وعضد الحركة روسو وفولتير ، بعد جدل كثير نزلت طبقة الإشراف للطبقات الوسطى عن قسط صغير فى الحكم .

وقد خلف هذا ثلاثة أرباع السكان مجردين تماماً من حق التصويت — الوطنيون (أو الأهالى) وهم الأشخاص المولودون فى جنيف ولكن الأبوين من غير الوطنيين . وهؤلاء حرموا أيضاً من معظم المهن ، ومن المناصب الحربية ، ومن الارتقاء معلمين فى النقابات الحرفية ؛ وقد منعوا من توجيه الملتمسات إلى المجالس الأكبر والمجالس الأصغر اللذين يحكمان الجمهورية . غير أنهم أثقلوا بالضرائب . وفى ٤ أبريل ١٧٦٦ ذهب وفد من « الوطنيين» إلى فرنيه وطلبوا إلى فولتير أن يساعدهم فى نيل حق التصويت . فقال لهم : « يا أصدقائى ، انكم تؤلفون أكثر الطبقات عدداً فى مجتمع مستقل كادح ، وأنتم ترسفون فى العبودية ولاتطلبون إلا أن تتمتعوا بميزاتكم الطبيعية ، أى أن تمنحوا هذا الطلب المتواضع لا أكثر . وسأعينكم بكل ما أملك من نفوذ . . .

فإذا أكرهتم على الرحيل عن وطن يثرى على حساب كدكم ، فسأستطيع تقديم العون لكم وحمايتكم فى مكان آخر »(٤) .

ولكن الطبقتين الارستقراطية والبورجوازية اتحدتا فى مقاومة نداء « الوطنيين » ، وكل ما استطاعه فولتير هو أن يرحب فى مستعمرته الصناعية بكل من وفد عليه من الصناع الساخطين (١٧٦٨) . وفى ١٧٨٢ هب الوطنيين فى ثورة أطاحت بطبقة الإشراف وأقامت حكومة نيابية . ولكن النبلاء استنجدوا بفرنسا وبرن وسردينيا ؛ فتدخلت هذه الدول ، وأخمد التمرد ، وردت الأولجركية إلى الحكم . وكان على الوطنيين أن ينتظروا مجىء الثورة الفرنسية لتأتيهم بالحرية .

وأنجبت الكانتونات فى ثلث القرن الذى نحن بصدده بعض الشخصيات ذات الشهرة الدولية . فكان يوهان هاينريش بستالوتسى أحد الأفراد النادرين الذين يتخذون العهد الجديد مرشداً للسلوك . وقد اتفق مع روسو على أن المدنية أفسدت الإنسان ، ولكنه أحس أن الإصلاح يمكن أن يأتى لا عن طريق القوانين والنظم الجديدة ، ولكن بإعادة تكوين السلوك الإنسانى بالتربية . ومن ثم كان طوال حياته يرحب بالأطفال لاسيما الفقراء منهم ، وخصوصاً المشردين ؛ يؤويهم ويعلمهم ، ويطبق فى تعليمهم المبادىء التحررية التى احتواها كتاب روسو « إميل » ، مع أفكار من عنده . وقد بسط آراءه فى كتاب كان أكثر الكتب انتشاراً بين قراء ذلك الجيل . فالبطلة فى كتابه « ليونهارد وجرترود » (١٧٨١ — ٨٥) تصلح قرية بأسرها بمحاولة معاملة الناس كما لوكان المسيح يعاملهم ، وبتعليم أطفالها فى مراعاة صابرة لغرائزهم واستعداداتهم الفطرية . ومن رأى بستالوتسى أن يعطى الأطفال من الحرية القدر الذى تسمح به حقوق الآخرين . فينبغى أن يبدأ التعليم المبكر بالقدوة ، وأن يعلم الطفل بالأشياء والحواس ، والخبرة ، لا بالكلمات أو الأفكار أو الصم . وقد مارس بستالوتسى طرائقه فى مدارس سويسرية شتى ، ولا سيما فى ايفردون . وهناك زاره تاليران ، ومدام دستال ، وغيرهما ؛ ومنها انتشرت نظرياته فى طول أوربا وعرضها . على أن جرته شكا من أن

مدارس بستالوتسى تكون أشخاصاً فرديى النزعة ، وقحاء ، مغرورين ، متمردين (٥) .

وهناك انجليكا كاوفمان ، المولودة فى كانتون جريزون . والتى نافست مدام فيجيه لبرون بوصفها أشهر فنانة فى جيلهما . فكانت تجيد الرسم ، فضلا عن إتقانها العزف ، حتى وهى فى الثانية عشرة . إجادة حملت الأساقفة والنبلاء على أن يجلسوا إليها لتصورهم . وفى الثالثة عشرة (١٧٥٤) اصطحبها أبوها إلى إيطاليا حيث واصلت دراساتها . واحتفى بها القوم أينما ذهبت تقديراً لمهاراتها وإعجاباً بسحر شخصها . وحين دعيت إلى انجلتره عام ١٧٦٦ أثارت ضجة بتصويرها جاريك . وأغرم السير جوشوا رينولدز جداً بـ « الآنسة اينجل » ، وصورها ، فصورته بدورها . وقد شاركت فى إنشاء الأكاديمية الملكية للفنون ، التى كلفتها هى وغيرها فى ١٧٧٣ بتزيين كتدرائية القديس بولس . وفى ١٧٨١ قفلت إلى روما . حيث (١٧٨٨) سلكت جوته فى عداد أصدقائها الأوفياء . وماتت هناك فى ١٨٠٧ ، وكان مأتمها الذى نظمه كانوفا حدثاً من أحداث العصر ، وشيعها مجتمع الفنانين بأكمله إلى مثواها الأخير .

أما أبرز شخصيات الجيل السويسرية بعد روسو فهو يوهان كاسبار لافاتر . ولد فى زيورخ فى ١٧٤١ ، وأصبح راعياً بروتستنتياً ، واحتفظ طوال حياته بأحر الولاء للمسيحية التقليدية . وقد رأينا محاولاته لهداية جوته ومندلسون . ولكنه لم يكن دجماطيقيا . فقد احتفظ بصداقاته عبر الحدود الدينية والقومية . واحترمه كل من عرفه ، وأحبه الكثيرون(٦) . وقد ألف كتباً فيها ورع صوفى . وشرح سفر الرؤيا شرحاً مغرباً فى الخيال ، وآمن بالقوى المعجزية للصلاة ولكاليوسترو ، وأعطى زوجته علاجات « تنويمية » عملا بإرشادات مزمير . وكان أخص دعاواه أن خلق الإنسان يمكن الحكم عليه من ملامح وجهه ومحيط دماغه . فأثار اهتمام جوته وهردر بآرائه ، وقد أسهما بمقالات لكتابه « شذرات فى الفراسة » (١٧٧٥ — ٧٨) وقد درس نظرات الأفراد البارزين ، وأدمغتهم ، وأشكالهم ، وربط بين ملامح الجمجمة والوجه وصفات نوعية للعقل والخلق . وقد قبلت

تحليلاته واستنتاجاته على نطاق واسع ، ولكنها الآن مرفوضة بوجه عام . على أن المبدأ العام الذى نادى به ، وهو أن الصفات السيكولوجية تشارك (مع الهواء والبيئة والغذاء والمهنة الخ ..) فى تشكيل الجسم والوجه ، مازال يحوى قدراً كبيراً من الحقيقة ، فكل وجه إنما هو ترجمة ذاتية .

وكان لافاتر جزءاً من حركة إزهار شملت روسو ، والشاعر والعالم ألبرشت فون هالر ، والشاعر والمصور سلومون جسنر ، والمؤرخ يوهان فون مولر ، وهوراس دسوسير ، الذى بدأ رياضة تسلق الجبال بارتقائه جبل مون بلان فى ١٧٨٧ بعد محاولات اتصلت سبعة وعشرين عاماً . وأحست الكنتونات خلال ذلك برياح الثورة تهب عليها عبر الحدود من فرنسا . وفى ١٧٩٧ انضم فردريك سيزار ولا هارب ، الذى كان معلماً خاصاً لحفيدى كاترين الكبرى ، إلى بيتر أوخس عضو نقابة التجار فى بازل ، فى دعوة حكومة الثورة الفرنسية لتساعد هما على إنشاء جمهورية ديمقراطية فى سويسرة . وقد مهدت الطريق لهذه الخطوة ثورات محلية فى برن وفو (يناير ١٧٩٨) ؛ فعبر جيش فرنسى الحدود فى ٢٨ يناير ، ورحب به أكثر السكان السويسريين محرراً لهم من الأوليجركية . وفى ١٩ مارس أعلنت « جمهورية هلفيسية واحدة لاانقسام لها » . فأطاحت بكل امتيازات الكانتونات والطبقات والأشخاص ، وجعلت سويسره كلها سواء أمام القانون . وكانت زيورخ أطول الأقاليم مقاومة ، وفى الهياج الشديد الذى تلا ذلك أصيب بطلق نارى الشيخ الأمين لافاتر (١٧٩٩) ، فمات فى ١٨٠١ متأثراً بجرحه تأثراً بطيئاً .

٢ — الهولنديون : ١٧١٥ — ١٧٩٥

اعجب الناس جميعاً بالهولنديين . وقد وصف المسرحى الدنمركى هولبرج ، الذى زار الأقاليم المتحدة (هولندة) و « بلجيكا » فى ١٧٠٤ . هذه البلاد وصفاً تحمس فيه على الأخص لقنواتها التى كانت زوارقها كما قال « تنقلنى من مكان لآخر » فى هدوء عذب و « تمكننى من إنفاق كل ليلة فى مدينة كبيرة . حتى أننى كنت أستطيع فى الأمسية ذاتها أن أذهب إلى

الأوبرا أو المسرح عقب وصولى رأساً »[٧]. وقد أعربت عن مثل هذا السرور الليدى مازى ورتلى مونتجيو بعد اثنى عشر عاماً فقالت :

« ان هذا البلد كله (هولنده) يبدو وكأنه حديقة فسيحة الأرجاء : فالطرق كلها حسنة الرصف ، تظللها على الجانبين صفوف الأشجار ، وتحفها قنوات واسعة غاصة بالزوارق الغادية الرائحة . . . وكل الشوارع (فى روتردام) . . . معتنى بنظافتها جداً . . . حتى أننى جلت بأرجاء المدينة كلها تقريباً أمس ، متنكرة ، فى خفى دون أن تنالنى لوثة قذرر واحدة ، وترى الخادمات الهولنديات يغسلن الطوار . . . بعناية تفوق عناية خادماتنا بغسل غرف نومنا . ومراكب التجار تصل (على القنوات) حتى أبواب البيوت. والدكاكين والمتاجر نظيفة بهية إلى حد مدهش ، غاصة بمقادير هائلة من السلع الجميلة »[٨] .

على أن هذه التقارير الوردية وصفت هولنده قبل أن تحس بالآثار الاقتصادية لانتصارها على لويس الرابع عشر فى حرب الوراثة الأسبانية . ففيها أراقت دمها ومالها إلى ما يقرب الانهاك ؛ فتضخم دينها العام ، وفقدت كثيراً من تجارة النقل التى ذهبت إلى حلفائها العسكريين الذين كانوا رغم تحالفهم العسكرى معها منافسين لها فى التجارة — وإلى ألمانيا . وهبطت أرباح شركة الهند الشرقية من أربعين فى المائة فى ١٧١٥ إلى اثنى عشر ونصف فى المائة فى ١٧٣٧ ، وأرباح شركة الهند الغربية الهولندية من خمسة فى المائة فى ١٧٠٠ إلى اثنين فى المائة فى ١٧٤٠[٩] . وجرت حرب السنين السبع مزيداً من الأذى. ذلك أن مصرفيي أمستردام أثروا بفضل القروض المرتفعة الفائدة التى أقرضوها للدول المتحاربة ، ولكن صلح ١٧٦٣ أنهى هذه النعمة الكبرى ، فأفلس كثير من المصارف الهولندية ، وتضرر نتيجة لذلك كل مشروع تجارى كبير . كتب بوزويل الذى كان فى هولنده فى ١٧٦٣ يقول « ان الكثير من كبريات المدن تضعضعت إلى حد محزن . . . وأنت تلتقى بجموع من الفراء الذين يتضورون جوعاً وهم عاطلون[١٠] » . وزيدت الضرائب فأفضى ذلك إلى هجرة رأس المال والعناصر البشرية الصلبة ؛

وفى هذه الفترة امتزجت دماء المستعمرين الهولنديين والألمان فى جنوب أفريقيا وانبعث البوير ببطء نتيجة الامتزاج .

وجاء الانتعاش بفضل خلق الهولنديين وجدهم وأمانتهم . فقد عكف شعب هادىء قوى مدبر على فلاحة أرضه ، وتشحيم طواحين هوائه ، ورعى أبقاره ، وتنظيف معامل ألبانه ، وإنتاج ألوان لذيذة من الجبن الشهى الكريه الرائحة ؛ وكانت هولنده سباقة بين دول أوربا فى مضمار الزراعة العلمية (١١) . واستعادت دلفت سوق البرسلان الذى فقدته . واسترد مصرفيو أمستردام الهولنديون واليهود ما اشتهروا به من جدارة بالثقة وقدرة على التصرف ؛ فأقرضوا المال بقليل من الفائدة والمخاطرة ، وحصلوا على عقود رابحة بدفع رواتب الجند وتموينهم ؛ ولجأت الحكومات ورجال الأعمال إلى أمستردام طلباً للقروض ، وندر أن ردوا فارغين ؛ وطوال ذلك القرن المضطرب كله تقريباً كانت بورصة أمستردام المركز المالى للعالم الغربى . كتب آدم سمث حوالى عام ١٧٧٥ يقول : « إن إقليم هولنده . . . بالنسبة إلى مساحة أرضه وعدد سكانه ، بلد أغنى من انجلتره » (١٢) .

وأكثر ما راع فولتير فى ١٧٢٥ (١٣) كان تعايش مختلف الأديان تعايشاً لم يكدر صفوه مكدر . فهنا كان كاثوليك سنيون وكاثولوليك جانسنيون (ألم يكن جانسن نفسه هولندياً ؟) ، وبروتستنت أرمينيون من القائلين بحرية الإرادة ، وبروتستنت كلفنيون من القائلين بالقضاء والقدر ، ومعمدانيون من القائلين بتجديد العماد ، وسوسينيون ، وإخوان مورافيون ويهود ، ثم حفنة من أحرار الفكر يصطلون فى دفء التنوير الفرنسى (١٤) . وكان أكثر القضاة من البروتستنت ، ولكنهم « كانوا يأخذون النقود بانتظام من الكاثوليك » كما يقول مؤرخ هولندى « للأغضاء عن ممارستهم شعائر دينهم والسماح لهم بشغل مناصبهم » (١٥) . وكان الكاثوليك الآن ثلث السكان الذين بلغ عددهم ثلاثة ملايين . أما الطبقات العليا ، الملمة بأديان كثيرة بفضل اشتغالها بالتجارة ، فقد تشككت فى هذه الأديان كلها ، ولم تسمح لها بالتدخل فى القمار ، والشراب ، والشره فى الطعام ، وشىء من الفسق المتستر على الطريقة الفرنسية (١٦) .

وكانت الفرنسية لغة المثقفين . وكثرت المدارس ، واشتهرت جامعة ليدن بدراساتها فى الطب التى أحيت ذكر بويرهافى العظيم . وكان فى كل المدن جمعيات للفنون ، ومكتبات ، و « قاعات للخطابة » تعقد مباريات دورية فى الشعر . وكان تجار التحف الهولنديون يتمتعون بشهرة أوربية بكنوزهم وتزييفاتهم (١٧) . وكان عصر الفن الهولندى الذهبى قد ولى بموت هوبيما (١٧٠٩) ، ولكن كورنيلس تروست كان على الأقل صدى يردد عظمته . وربما كان أروع نتاج الفن الهولندى فى هذا العصر هو الزجاج الرقيق المنقط أو المحفور بأبر من الماس (١٨) . وكانت أمستردام عشاً للناشرين ، بعضهم شرفاء وبعضهم قراصنة . وهبط النشاط الخلاق فى الأدب إلى مستوى منحط النصف الأول من القرن الثامن عشر ، ولكن حوالى ١٧٨٠ غذت حركة إحياء للأدب شاعراً مطبوعاً هو فليم بلدرديك .

ويروى بوزويل أن صديقاً له أخبره أنه سيجد الهولنديين « سعداء فى غبائهم »(١٩) ؛ ولكن بوزويل كتب من أوترخت يقول « اننا نعقد اجتماعات متألقة مرتين فى الأسبوع ، وحفلات خاصة كل مساء تقريباً . . وفى زمرتنا سيدات جميلات محبوبات هن من الكثرة بحيث لاتستطيع الصحائف الكثيرة أن توفيهن حقهن من الثناء » (٢٠) وأروع الصفحات فى مذكرات بوزويل السريعة الموجزة عن هولنده تلك التى تصف غرامه المتردد بزيليده أو « حسناء زويلين » — وهى ايزابيللا فان تويل . وكانت تنتمى إلى أسرة عريقة مرموقة ؛ فأبوها « سيد زويلين وفستروك » كان أحد حكام إقليم أوترخت . وقد تلقت من التعليم فوق ما تحتمل ، فباتت تجهر بهرطقتها فى فخر ، وهزأت بالتقاليد ، والأخلاق ، والدين ، ومراتب الشرف . ولكنها فتنت الناس جميعاً بحسنها ومرحها وصراحتها المثيرة . وقد أحجمت عن الزواج المهذب الوفى ، وكتبت تقول « لو لم يكن لى أب ولا أم لما تزوجت . . ولا غتبطت كل الاغتباط بزوج يتخذنى كخليلته ؛ ولقلت له « لاتنظر إلى الوفاء على أنه واجب . فما ينبغى أن يكون لك غير حقوق العاشق وغيرته » (٢١) . فأجاب بوزويل أشد الفاسقين إلحاحاً فى أوربا « يا للعار يا زيليدتى ، أى أوهام هذه » ولكنها أصرت على موقفها « إنى

لأوثر أن أكون غسالة لحبيبى ، وأن أسكن علية ، على حرية أسرنا الكبيرة الجرداء وآداب سلوكها المهذب»(٢٢) .

وجازت زيليدة سلسلة من العلاقات الغرامية التى خلفتها وحيدة مثخنة بجراح لاتبرحها . وراحت تهدىء أعصابها بالأفيون وهى بعد فى الرابعة والعشرين . وحين بلغت الثلاثين (١٧٧١) تزوجت سان — هياسنت دشاربير ، وهو معلم خاص سويسرى ، وذهبت لتعيش معه قرب لوزان . فلما وجدته قاصراً من الناحية الفكرية . وقعت فى أربعيناتها فى حب رجل يصغرها بعشر سنين ، فقضى وطره منها ثم هجرها . والتمست التنفيس فى كتابة قصة اسمتها « كاليست » (١٧٨٥ — ٨٨) ، طرب لها سانت — بيف أى طرب . وحين بلغت السابعة والأربعين ، التقت فى باريس ببنجامن كونستان . وكان فتى فى العشرين ، فأغوته بفكرها (١٧٨٧) وكتب يقول « إن لمدام شاربير أسلوباً غاية فى الأصالة والحيوية فى النظر إلى الحياة ، واحتقاراً عميقاً جداً للتعصب ، وفكراً بالغ القوة . وتفوقاً على أوساط الناس عارماً مستقراً . . . حتى أننى على غرابة أطوارى وتكبرى مثلها . . . وجدت فى حديثها لذة لاعهد لى بها قط . . وقد انتشينا باحتقارنا للنوع الإنسانى»(٢٣) . وسار الحال على هذا المنوال حتى عام ١٧٩٤ حين وجد بنجامن نشوة جديدة مع مدام دستال . وأعتكفت زيليدة فى عزلة مرة ، وماتت فى الخامسة والستين ، بعد أن خلقت لحواء الحياة الدنيا واستنفدته .

ولو شاءت لوجدت غذاء للتشاؤم فى التاريخ السياسى للأقاليم المتحدة فى القرن الثامن عشر . ذلك أن حكم البلاد بعد موت وليم الثالث (١٧٠٢) احتكرته أوليجركية من كبار رجال الأعمال انصرفوا إلى فرض الضرائب على الشعب ومحاباة الأقرباء والدس والتآمر . كتب كاتب هولندى فى ١٧٣٧ يشكو هذه الحال فقال « ان المواطنين ممنوعون من المشاركة فى الحكومة . . . ولا يطلب منهم نصيحة ولا رأى فى إدارة شئون الدولة »(٢٤) . وقد تكشف العجز الحربى لهذا النظام حين دخلت هولنده حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٣) فغزاها جيش فرنسى ولم يلق مقاومة تذكر ، وسلمت

مدن كثيرة دون جدال . كتب المرشال دنواى يقول « علينا أن نتعامل مع شعب غاية فى اللطف والكرم » (٢٥) على أنهم لم يكونوا كلهم كذلك ، فقد ارتفعت أصوات معظم المواطنين مطالبة بزعيم حربى ينقذ البلاد على نحو ما فعل وليم الثالث فى ١٦٧٢ ، ونصب سليله غير المباشر ، وليم الرابع أمير أورانج ، حاكماً للأقاليم السبعة ، وقائداً للجيش ، وأميراً للبحرية (٣ مايو ١٧٤٧) ؛ وفى أكتوبر جعلت هذه المناصب وراثية فى أسرته ، ومعنى ذلك أن الملكية أعيدت فى واقع الأمر ، غير أن وليم الرابع كان فيه من التمسك بالخلق المسيحى مالا يجعله قائداً حربياً صالحاً ؛ فلم يستطع أن يعيد النظام إلى الجيوش ، وتوالت الهزائم يقفو بعضها بعضا ، وفى معاهدة إكس — لا — شابل (١٧٤٨) كانت هولنده محظوظة لاحتفاظها بأراضيها سليمة ، ولكنها عادت خربة من الناحية الاقتصادية ومات وليم بالحمرة وهو فى الأربعين (١٧٥١) ، وقامت أرملته الأميرة آن — بالوصاية على العرش إلى أن ماتت (١٧٥٩) ، ثم حكم لودفج إرنست أمير برنزويك — فولفنبوتل البلاد حكماً صارماً كفئاً حتى بلغ وليم الخامس سن الرشد (١٧٦٦) .

وفى الحرب الدائرة بين انجلتره والمستعمرات الأمريكية احتجت هولنده على عدوان البريطانيين على السفن الهولندية ، وانضمت إلى روسيا فى « الحياد المسلح» المبرم فى ١٧٨٠ ؛ وأعلنت انجلتره عليها الحرب ، واستولت على جميع السفن الهولندية تقريباً ، وفى معاهدة باريس (١٧٨٣) (١٨٧٣) كادت مصالح هولنده أن تغفل ، فنزلت عن نجاباتام (فى جنوبى الهند) لانجلترة ، وسمحت للانجليز بحرية الملاحة فى جزر الملقا . وهكذا لم تعد هولنده تلعب دوراً بين الدول .

ودمرت هذه الخطوب شعبية وليم الخامس . ثم ان نجاح الثورة فى أمريكا حفز الأفكار الديمقراطية فى الأراضى الواطئة ، وأفضى إلى قيام حزب « الوطنيين» المناهض للأسرة الحاكمة . وكانت القلة صاحبة المال تمتص ثروة الأمة المتناقصة خلال كل تغيير فى الحكومة امتصاصاً الجأ رجالا كثيرين إلى التسول ونساء كثيرات إلى البغاء فى المدن التى كانت يوماً ما

مزدهرة يسودها النظام. وفى ١٧٨٣. تكونت سراً جماعات من « الرماة الأحرار » فى أمستردام ولاهاى للاعداد للثورة . وفى ١٧٨٧ استولى « الوطنيون » على السلطة ، ولكن وليم الخامس أعيد إلى عرشه بفضل تدخل بروسيا المسلح. ثم نفخت الثورة الفرنسية الحماسة من جديد فى أفئدة الوطنيين ، فدعوا فرنسا لتخف لنجدتهم . وعليه ففى ١٧٩٤ غزت الجيوش الفرنسية هولنده ، وبطشت بالجيش الهولندى ، وفر وليم الخامس إلى انجلتره ، وانضم أنصار الثورة الهولنديون إلى الفرنسيين فى تنظيم الجمهورية البتافية (١٧٩٥—١٨٠٦) . وفى ١٨١٥ أعاد ابن وليم الخامس بيت أورنج — نيساو إلى السلطة باسم الملك وليم الأول ، وأسلاله يتربعون على عرش هولنده اليوم (١٩٦٧) .

٣ — الدنمركيون : ١٧١٥ — ١٧٩٧

بلغ عدد سكان الدنمرك حسب أول تعداد رسمى للبلاد (١٧٦٩) ٨٢٥,٠٠٠ نسمة ، يضاف إليهم ٧٢٧,٦٠٠ فى النرويج التى ظلت خاضعة للملوك الدنماركيين حتى ١٨١٤ . وكان كل الفلاحين تقريباً فى النرويج يملكون أراضيهم ، وفيهم كبرياء ككبرياء الفيكنج . أما الدنمرك فكان نصف فلاحيها أقناناً ، والنصف الآخر خاضعين للرسوم الإقطاعية . وجهد الملوك لكبح جماح هذا الإقطاع ، ولكنهم كانوا معتمدين مالياً على الإشراف ، واستمرت القنية حتى ١٧٨٧ . فى هذا النظام لم تلق التجارة ولا الصناعة تشجيعاً يذكر ، ولم تنم طبقة وسطى ذات شأن ؛ وأفاد فتح قناة كيل (١٧٨٣) الإنجليز والهولنديين أكثر مما أفاد الدنمركيين . وفى ١٧٩٢ كانت الدنمرك أول دولة أوربية تلغى النخاسة فى ممتلكاتها .

وكما سيطر النبلاء على الدولة كذلك سيطرت الكنيسة على المنابر والطباعة ، وأملت أن تسيطر على العقول أيضاً . فحرمت الرقابة الصارمة التى امتدت من ١٥٣٧ إلى ١٨٤٩ كل ما يطبع أو يقال مما لا يتفق والتعالم اللوثرية القويمة ؛ وصودر الكثير من الكتب غير اللاهوتية ، كقصة جومة « آلام فرتر » لأنها خطر يهدد الأخلاق العامة . وزاد من القيود المعطلة لنمو الأدب استعمال الألمانية فى البلاط ، واللاتينية فى الجامعات ، والفرنسية فى الآداب

البحتة — التى لم يكد يوجد منها شىء . وكان تدشين الأدب الدنمركى بالتأليف باللغة القومية ، وإدخال بصيص من التنوير إلى الدنمرك . من مآثر ألمع دنمركى فى القرن الثامن عشر .

وتستطيع كل من النرويج والدنمرك أن تنسب إليها لودفج فون هولبرج ، لأنه ولد فى برجن (٣ ديسمبر ١٦٨٤) . وبعد أن تلقى العلم فى المدرسة اللاتينية المحلية ، عبر الماء ليلتحق بجامعة كوبنهاجن . ولكن سرعان ما نضب ماله ، فتنقل إلى النرويج واشتغل مدرساً خصوصياً فى أسرة قسيس ريفى ، فلما أن ادخر ستين طالرا انطلق ليرى الدنيا من حوله . فنراه فى ١٧٠٤ فى هولنده ، وفى ١٧٠٦ — ١٧٠٨ كان يعلم نفسه فى مكتبات أكسفورد . فلما عاد إلى كوبنهاجن ألقى محاضرات لم تأته بأكثر كثيراً من تعليم الذات ، وعاش أثناء ذلك على التدريس الخصوصى ، واغتذى بالطموح . وفى ١٧١٤ عينته الجامعة أستاذاً دون راتب ، غير أن منحة خاصة أتاحت له الجولان عامين فى ربوع إيطاليا وفرنسا ، على قدميه أكثر الوقت . فلما آب من أروع رحلة بين الرحلات الرائعة كلها ، عين أستاذاً للميتافيزيقا ، وهى مادة أبغضها ، ثم للاتينية والبيان ، وأخيراً (١٧٣٠) للتاريخ والجغرافيا اللذين أحبهما .

ولقد خلق الأدب الدنمركى فى لحظات فراغه . فحتى زمنه لم يكن فى الدنمركية شىء سوى الأغانى الشعبية والفارصات والترانيم والكتب العقيدية الشعبية . وألف هولبرج مكتبة صغيرة من القصائد والهجائيات والقصص والأبحاث بالدنمركية فى السياسة والقانون والتاريخ والعلوم والفلسفة . ولم ينافسه غير فولتير فى تعدد جوانبه . وقد استعمل الهزل كما استعمله فولتير ليسوط به الأساتذة المزهوين من عباد الدراسات الكلاسيكية ، والمحامين الذين يقيدون حركة العدالة بأغلال الدقائق التقنية ، ورجال الدين المتزاحمين بالمناكب على المال والمنصب ، والأطباء الذين ييسرون دخول المرضى إلى الأبدية . وتناول كل أعمدة المجتمع هؤلاء تقريباً بالتشهير فى أول آثاره الأدبية الكبرى ، وهو ملحمة ساخرة سماها بيدر بارس (١٧١٩) . وأوجع بعض كبار الدنمركيين وخز هذا الهجاء ، فناشدوا الملك فردريك الرابع

أن يصادر الكتاب باعتباره ضاراً بالأخلاق مستهزئاً بالقساوسة ؛ وقرىء على الملك أول قسم فى الملحمة كطلبه ، فحكم بأنها « عمل برىء مسل » ، غير أن المجلس الملكى أحاط هولبرج بأنه كان خيراً لو أن القصيدة لم تكتب قط (٢٦) .

وعلى ذلك انصرف إلى المسرح . فنى ١٧٢٠ افتتح ممثل فرنسى اسمه إتيين كابيون فى كوبنهاجن أول مسرح دنمركى . فلما افتقد المسرحيات الدنمركية الجديرة بالإخراج استورد الدرامات من فرنسا وألمانيا . غير أنه استشف من «بيدر بارس» أن هولبرج يملك المواد والموهبة اللازمة للكوميديا ، فلجأ إليه ليمد المسرح الجديد بتمثيليات باللغة العامية ، ولم ينقض عام حتى كان هولبرج قد ألف خمس تمثيليات ، وفى ثمانية أعوام ألف عشرين ؛ كلها غنى فى صور الأعراف والعادات المحلية غنى حمل خلفه العظيم آدم أو هلنشليجر على أن يقول فيه « إنه عرف كيف يصور الحياة البورجوازية لمدينته كوبنهاجن بأمانة عظيمة بحيث لو انشقت الأرض وابتلعت هذه المدينة ، وبعد مائتى عام أميط اللثام عن كوميديات هولبرج ، لاستطاع المرء أن يعيد بناء العصر منها ، على نحو ما نعرف أيام روما القديمة من أطلال بومبى وهركيولانيوم (٢٧) .

ونقل هولبرج القوالب والأفكار عن بلوتوس وترنس وموليير والكوميديا ديللارتى التى شهدها فى إيطاليا . وبعض كوميدياته تمثيليات من فصل واحد ذات موضوعات تافهة فقدت قوة دفعها ، مثل « رحلة سجاناريل إلى أرض الفلاسفة »(٢٨) . وبعضها مازال يحتفظ بقوته ، مثل « يبى رجل التل » التى نعرف منها أن الفلاحين حين يظفرون بالسلطة يكونون أشد بغياً من سادتهم . وبعضها تمثيليات مكتملة الطول مثل « رازموس مونتانوس » ، وهى هجائية مرحة تسخر بتنطع العلماء ، وبغطرسة اللاهوتيين وبجهل العوام ، مع مسحه خبيثة من صراحة الريفيين وصدقهم ، مثل قول لسبيد لأبيها بعد أن سمعت بأن خطيبها عائد من الجامعة « إذن فقد صدق حلمى . . لقد حلمت انى نمت معه البارحة » (٢٩) على أن مسرح كوبنهاجن

رغم هذه الكوميديات المرحة أغلق أبوابه فى ١٧٢٧ لافتقاره إلى الدعم الشعبي . وكان آخر ما مثل فوق خشبته مسرحية هولبرج « مأتم الكوميديا الدنمركية » .

لقد صدم زملاءه من أساتذة الجامعة بالكتابة للمسرح ؛ أما الآن فقد ألان جانبهم بمؤلفات تاريخية يسرت للقراء الدنمركيين ثمرات الدراسات الأوربية الغربية . وكانت كتبه « تاريخ للدنمرك » (١٧٣٢ — ١٧٣٥) ، تاريخ عام للكنيسة » (١٧٢٧ — ١٧٤٧) ، و « تاريخ لليهود » مصنفات ، ولكنها متقنة . والتمس هولبرج التخفف من هذه الجهود فى رائعته . « رحلة نيلس كليم السفلية » (١٧٤١) . وقد كتبها نثراً لاتينياً لتصل إلى القراء الأوربيين ، فوصلت ، ولكن بطريق الترجمة : ترجمها ينز باجيزبن إلى الدنمركية فطبعت الترجمة ثلاث مرات ، وظهر منها بالألمانية عشر طبعات ، بالسويدية ، والهولندية ، والانجليزية ، ثلاث ، وبالفرنسية والروسية اثنتان ، وبالمجرية واحدة . هذه « الرحلة السفلية » هى التى جعلت هولبرج « سويفت الدنمرك » و « فولتيرها » معاً .

والقصة تروى أن الضوضاء المنبعثة من كهف تثير فضول نيلس ، فيصمم على استقصاء مصدرها ويدليه أصحابه بحبل ينقطع ، « وبسرعة مذهلة دفع بى إلى أعماق الهاوية »[٣٠] . ثم يعثر فى قشرة الأرض على مساحة مكشوفة أو قبة سماوية فيها شمس وكواكبها السيارة ، ونجوم كثيرة . ويسقط صوب أحد هذه الكواكب فيصبح قمراً تابعاً له ويدور حوله عاجزاً ، ولكنه يمسك بنسر يحمله حتى يهبط فى رفق على الكوكب بوتو (أى يوتوبيا مقلوبة) . هنا يجد الأشجار هى النوع السائد ، وهى غنية بعصارتها العاقلة ، ولسوء الحظ « كانت الشجرة التى تسلقتها . . . هى زوجة العمدة »[٣١] . ولبوتو بعض القوانين الممتازة . فالناس الذين « يتجادلون علانية حول صفات الكائن الأعظم وما هيته ينظر إليهم على أن بهم مساً من الجنون » ، فيعالجون بفصدهم لتهبط حماهم ، ثم يحبسون حتى « يفيقوا من هذا الهذيان »[٣٢] . والأمهات فى بوتو يرضعن أطفالهن — وهى فكرة سبقت بعشرين سنة دعوة روسو للأمهات لإرضاع أطفالهن من ثديهن . وفى إقليم كوكليكو

تحـــكم النساء الدولة ، ويعنى الرجال بشئون البيت أو يصبحون بغايا ، وللملكة « حريم » من ثلاثمائة شاب وسيم . وينفق الفلاسفة فى كوكليكو وقتهم فى محاولة الوصول إلى الشمس ، ولا يهتمون اهتماماً يذكر بشـــئون الدنيا . وفى إقليم ميكولاك تجد الناس كلهم ملحدين ، « يقارفون أى شر يستطيعون إخفاءه عن الشرطة » [٣٣] ويقع نيلس على كتاب بعنوان « رحلة تانيان إلى العالم السفلى » يصف أوربا وعاداتها الغريبة : الرءوس التى تكسوها البواريك الضخمة ، والقبعات المحمولة تحت الأذرع (كما كان يفعل نبلاء فرنسا) ، « والكعكات الصغيرة أو القرابين تحمل مروراً بالشوارع ويقول الكهان إنها آلهة ، والناس الذين خبزوها . . . يحلفون على الإيمان بأن هذه القرابين خلقت الدنيا »[٣٤] .

وقد اشتملت « الرحلة السفلية » على انتقادات للعقيدة المسيحية ، ودعت إلى إطلاق حرية العبادة لجميع المذاهب ، ولكنها أوصت بالإيمان بالله ، وبالجنة ، وبالنار ، باعتبارها ركائز ضرورية لناموس أخلاقى لاتفتأ تهاجمه مطالب النفس والجسد هجوماً شرساً [٣٥] . ورقى الملك فردريك الخامس المصلح الذى انصلح أمره بارونا فى ١٧٤٧ ؛ واستمتع هولبرج بلذة التمرد فى شبابه والرضى عنه فى شيخوخته التى اختتمت سنة ١٧٥٤ . ومازال إلى اليوم إمام الأدب الدنمركى .

على أن البعض قد يخصون بهذا المقام يوهان إيفالد الذى ضارعت حياته حياة بايرون وكيتس وشلى مغامرة ومعاناة وقصراً . وقد ولد فى كوبنهاجن فى ١٧٤٣ لقسيس لوثرى ، وتمرد على المتزمتين من الكبار ، ووقع فى غرام آرنسى هوليجارد وهو فى السادسة عشرة ، وهجر مهنة اللاهوت لأنه استبطأ ثمراتها ، وتطوع فى الجيش البروسى ثم النمساوى ، وصمم على الظفر بالثروة والمجد اللذين ينيلانه آرنسى عروساً . ولكن الحرمان والمرض أتلفا صحته ، فعاد إلى كوبنهاجن واللاهوت ، وتزوجت أرنسى ثروة أعجل ، وسكب إيفالد قلبه فى الشعر والنثر . فكتب أول مأساة دانمركية أصيلة

سماها « رولف كراجى»(١٧٧٠) ، وبلغ قمة الشعر الدنمركى فى القرن الثامن عشر بمسرحية « موت بالدر» (١٧٧٣) وهى دراما ملحمية بالشعر . على أن جهده لم يأته إلا بالكفاف ، فاعتكف فى عزلة ريفية ، وراح يجتر سلسلةمن الأوصاب ، ثم أنعشه معاش من الحكومة آخر الأمر . وقد رد على الصنيع بتمثيلية « صيادى السمك » (١٧٧٦) التى احتوت أغنية شعبية وطنية مطلعها « وقف الملك كرستيان إلى جوار الصارى العالى » التى أصبحت أنشودة الدنمركيين القومية المفضلة [٣٦] . وكانت دعوة إيفالد إلى المجد ، ووداعه للحياة ، ومات فى ١٧٨١ إثر مرض طويل أليم غير متجاوز الثامنة والثلاثين . ويعده السكندنافيون « من أعظم شعراء الشمال الغنائيين ، بل ربما أعظمهم قاطبة » [٣٧] .

وبتقدم القرن الثامن عشر أصبح التاريخ السياسى للدنمرك جزءاً من الدراما الحديثة المتصلة ابدا بين التقاليد المتوارثة والتجربة . وقد مزج كرستيان السادس (حكم ١٧٣٠ — ٤٦) بين القوى المتعارضة . فدفع هو ووزراؤه التنمية الاقتصادية قدماً باستجلاب الغزالين والنساجين لإنشاء صناعة النسيج ، وبتكوين الشركات القومية للاتجار مع أسيا وأمريكا ، وبفتح مصرف كوبنهاجن (١٧٤٤) . ونشروا التعليمين الابتدائى والثانوى ، وأسسوا الأكاديميات لتشجيع الأدب والعلم . على أنهم جددوا قانوناً قديماً يلزم بحضور خدمات الصلاة اللوثرية ، وأغلقوا جميع المسارح وصالات الرقص ، ونفوا الممثلين ، ومنعوا الحفلات التنكرية .

وأبقى فردريك الخامس (حكم ١٧٤٦ — ٦٦) ابن كرستيان على هذه القوانين ولكنه خفف من وطأتها بروحه اللطيفة وحبه للذات الحسية . ففى ١٧٥١ استقدم من هانوفر يوهان هارنفج أرنست فون بيرنشتورف ، الذى وفق وهو رئيس للوزراء فى رفع مستوى الأمانة والكفاءة فى الإدارة ، وأصلح شأن الجيش والبحرية ، وأبعدهما عن حرب السنين السبع ، وحرك مياه الثقافة الدنمركية الراكدة بجلب الأساتذة والشعراء والفنانين والعلماء ؛ وقد رأينا كلويشتوك يقبل هذه الدعوة . وفى ١٧٦٧ توج الكونت فون

برنشتورف سياسته الخارجية السلمية بإقناع كاترين الكبرى بتوقيع بفاقية نزلت بمقتضاها للدنمرك عن هولشتين — جوتورب .

ومات فردريك الخامس فى الثالثة والأربعين (١٧٦٦) بعد أن أنهكته لذاته . وقد زوج ابنه كرستيان السابع (حكم ١٧٦٦ — ١٨٠٨) على عجل وهو بعد فى السابعة عشرة من كارولين ما تيلدا أخت جورج الثالث ملك انجلترة ، وقد أفاضت اشراقاً على حياة العاصمة الاجتماعية ، ولكن زوجها نصف المجنون أهملها إيثاراً لحياة الخلاعة ، وانزلقت كاترين إلى غرام مأساوى مع طبيب البلاط يوهان فريدريش شترونزى . وكان ابنا لأستاذ لاهوت فى هاله ، فدرس فيها الطب ، وفقد إيمانه الدينى كما يفقده أكثر الأطباء . وقد دان بحظوته عند الملك لبراعته فى علاج العواقب الأكلينيكية لغراميات الملك ؛ وعند الملكة لتوفيقه فى الأتيان بكرستيان السابع إلى فراشها بما يكفى لإنجاب وريث للعرش . فلما تردى عقل الملك فى درك الاكتئاب وعدم المبالاة ، وزادت سلطة الملكة فى الحكومة ؛ وسمحت لطبيبها بإدارة سياستها كما سمحت له بالاستمتاع بحظوتها فغدا (١٧٧٠) حاكم الدولة الفعلى . وخرجت الأوامر من القصر الملكى ممهورة من شترونزى باسم الملك « غير المتمالك قواه العقلية » . وطرد برنشتورف ، فاعتكف بهدوء فى ضياعه بألمانيا .

وكان شترونزى قد قرأ مؤلفات جماعة « الفلاسفة » الفرنسيين ، وعلى مبادئهم نوى أن يشكل الحياة الدنمركية من جديد . فألغى استغلال النبلاء لامتيازاتهم . وأنهى الرقابة على المطبوعات ، وأسس المدارس ، وطهر المصالح الحكومية من الرشوة والاستغلال . وأعتق الأقنان ، وحرم التعذيب القضائى . وأعلن التسامح لجميع الأديان ، وشجع الآداب والفنون ، وأصلح القانون والمحاكم والبوليس ، والجامعة ، والمالية ، ووسائل حفظ الصحة البلدية . . . ثم ألغى معاشات كثيرة تخفيفاً من الدين العام ، ورصد دخول المؤسسات الدينية للإنفاق على الأغراض العامة .

ولكن النبلاء تآمروا ليسقطوه ، واستغلوا حرية النشر لاستنزاف شعبيته .

وكره الأتقياء من الدنمركيين التسامح الدينى لأنهم رأوه كفراً ، ورددت أحاديثهم عن شترو ينزى أنه أجنبى دخيل ليس لسلطته سند غير فراش الملكة . وفى ١٧ يناير ١٧٧٢ اقنع لفيف من ضباط الجيش الملك بأن شترو ينزى والملكة يبيتان قتله فوقع أمراً بالقبض عليهما . ورحلت كارولين إلى كرونبورج قلعة هاملت . أما شترو ينزى فألقى فى السجن ، وبعد خمسة أسابيع من المعاناة اعترف بزناه مع الملكة . وفى ٢٨ أبريل ١٧٧٢ قطع إرباً على مقصلة على مرأى من جمهور محبذ لهذا العقاب . وسمح لكارولين بعد إلحاح جورج الثالث بالاعتكاف فى تسلليه بها نوفر ، حيث ماتت فى ١٠ مايو ١٧٧٥ وهى بعد فى الرابعة والعشرين .

وقلد المتآمرون الفائزون الحكم لأوفى جولد برج ، المعلم الخاص للأمير فردريك . و قد قاد جولد برج خلال اثنى عشر عاماً من الحكم حركة انتفاض وطنية على النفوذ الأجنبى فى الحكومة واللغة والتعليم ، وفتح باب المناصب للعامة ، وأعاد القنية ، والتعذيب القضائى ، وسيادة الكنيسة اللوترية ، والتوجيه الدينى للجامعة . ووكلت الشئون الخارجية لأندرياس بيتر فون برنشتورف ، ابن أخى الكونت فون برنشتورف ومحسوبه . فلما نصب الأمير فردريك نفسه وصياً (١٧٨٤) طرد جولد برج : وأصبح اندرياس فون برنشتورف رئيس الوزراء وظل كذلك إلى يوم مماته . وبإرشاده الحكيم ألغيت القنية ثانية (١٧٨٧) ، وأنهيت النخاسة فى الممتلكات الدنمركية ، وأطلقت حرية القيام بالمشروعات الاقتصادية . فلما مات برنشتورف (١٧٩٧) كانت الدنمرك قد ثبتت أقدامها على الطريق إلى ذلك الرخاء السلمى الذى جعلها محسودة من العالم كله .

٤ — السويديون

١ — السياسة : ١٧١٨ — ٧١

كانت حياة شارل الثانى عشر المثيرة مأساة للسويد . ذلك أن مراميه لم تسترشد بموارد وطنه بل بظمئه للمجد . وقد احتمله الشعب السويدى بشجاعة وهو يأتى على قوتهم البشرية وثروتهم ، ولكنهم كانوا يدركون قبل موته

بزمان أن مصيره الفشل المحقق . فقد نزلت السويد بمقتضى معاهدات ستوكهولم (١٧١٨ — ٢٠) عن دوقيتى بريمن وفردن لهانوفر ، وعن الجزء الأكبر من بومرانيا لبروسيا . وبمقتضى صلح نيستاد (١٧٢١) نزلت عن ليفونيا واستونيا وانجرمانلاند وكاريليا الشرقية لروسيا . وقضى على سلطة السويد على أرض القارة ، وأكرهت على التقهقر إلى شبه جزيرة غنية بالمعادن وصلابة الخلق القومى ، متطلبة الجهد الشاق والمهارة المثابرة ثمناً للحياة.

وقد أضعفت هزيمة شارل شوكة الملكية ، وأتاحت للنبلاء أن يستردوا سيطرتهم على الحكومة . فأعطى دستور ١٧٢٠ السلطة الغالبة لمجلس نيابى أو «دايت» مؤلف من أربع « طبقات» أو مجالس . مجلس نبلاء « ريدارهوس» قوامه رؤساء الأسر النبيلة كلها ؛ ومجلس قساوسة — من الأساقفة مضافاً إليهم نحو خمسين مندوباً ينتخبهم اكليروس الأبرشيات من بينهم ؛ ومجلس سكان المدن ، من نحو تسعين مندوباً يمثلون الموظفين الإداريين وأقطاب رجال الأعمال فى المدن ؛ ومجلس فلاحين ، من مائة مندوب تقريباً يختارون بواسطة المزارعين من ملاك الأرض الأحرار ومن بينهم . وكانت كل طبقة تجلس منفصلة عن غيرها ، ولا يمكن أن يصبح أى مشروع قانوناً ما لم توافق عليه ثلاث طبقات ؛ ولم يكن لطبقة الفلاحين فى حقيقة الأمر قوة تشريعية إلا بموافقة طبقتين أخريين . وخلال اجتماعات المجلس النيابى كانت «لجنة سرية » من خمسين نبيلا ، وخمسة وعشرين قسيساً ، وخمسة وعشرين نائباً عن المدن تحضر مشروعات القوانين جميعها ، وتختار الوزراء ، وتهيمن على السياسة الخارجية . وقد أعفى النبلاء من الضرائب ، واحتكروا حق شغل مناصب الدولة العليا (٣٨) . فإذا لم يكن المجلس منعقداً سيردفة الحكم «راد» (مجلس) من ستة عشر أو أربعة وعشرين رجلا يختارهم المجلس النيابى ويسألون أمامه . وكان الملك يرأس هذا المجلس وله صوتان ، وفيما عدا هذا لم يكن له سلطة التشريع . وتضافرت روسيا وبروسيا والدنمرك لتأييد هذا الدستور لأنه يجمد سياسة السلام ويكبح النزعات الحربية للملوك الأقوياء .

ولم تعد الملكية وراثية بل أصبحت انتخابية . وبعد موت شارل الثانى

عشر (٣٠ نوفمبر ١٧١٨) كان مآل العرش بالوراثة إلى كارل فريدريش دوق هولشتين جوتورب ، وهو ابن لأخت شارل الكبرى ؛ ولكن المجلس النيابى المنعقد فى يناير ١٧١٩ لأول مرة فى عشرين سنة ، أعطى التاج لأولريكا اليانورا وهى أخت أخرى لشارل ، بعد أن وافقت على التخلى عن سياسة الاستبداد الملكى التى مارسها أخوها . ولكن حتى مع هذه الموفقة تبين أنها عسيرة القياد . وفى ١٧٢٠ اقنعت بالنزول عن العرش لزوجها الحاكم فردريك الأول أمير هسى — كاسل الذى أصبح الآن فردريك الأول ملك السويد . وبفضل الإرشاد الحكيم الذى بذله الكونت آرفيد برنهارد هورن — وكان مستشاراً للدولة — أتيح للسويد ثمانية عشر عاماً من السلام لتبرأ فيها من جراح الحرب .

غير أن الأباة من السويديين سخروا من سياسته السلمية ولقبوا أشياعه « الطواقى » وهم يعنون بهذا اللقب انهم خرفون نيام بينما تتراجع السويد إلى المؤخرة فى ركب الدول . وقام ضد هؤلاء حزب « القبعات » الذى كونه الكونت كارل جيلنبورج ، وكارل تسين ، وغيرهما . وتسلط هذا الحزب على المجلس النيابى فى ١٧٣٨ ، وحل جيلنبورج محل هورن . وإذ كان مصمماً على إعادة السويد إلى سابق مكانها بين الدول ، فإنه جدد التحالف المتقادم مع فرنسا التى أرسلت معوناتها المالية للسويد لقاء معارضتها لمطامع روسيا ؛ وفى ١٧٤١ أعلنت الحكومة الحرب على روسيا ، أملا فى استرداد أقاليم البلطيق التى استولى عليها بطرس الأكبر ، ولكن لا الجيش ولا البحرية كانا معدين الأعداد الكافى ، وقد أعجز المرض رجال البحرية ، وسلم الجيش فنلنده كلها أمام الزحف الروسى . على أن القيصرة اليزابث ، الحريصة على كسب تأييد السويد ، وافقت على رد معظم فنلنده إذا عين ابن عمها ادولفس فردريك أمير هولشتين — جوتوب للعرش السويدى . وبهذه الشروط أنهى صلح آبو الحرب (١٧٤٣) . فلما مات فردريك الأول (١٧٥١) ارتقى ادولفس فردريك العرش .

ولم يمض وقت طويل حتى علمه مجلس الطبقات انه ملك بالاسم

لا بالفعل . فقد نازعه حقه فى تعيين النبلاء الجديد، أو اختيار أعضاء بلاطه ، وهدد بالاستغناء عن توقيعه ان اعترض على التوقيع على قوانين أو وثائق معينة . وكان الملك رجلا لين العريكة ، ولكن كان له زوجة متكبرة آمرة هى لويزة أولريكا أخت فردريك الأكبر. وحاول الملك والملكة الثررة على سلطة المجلس . ولكن الثورة أخفقت، وعذب عملاؤها وقطعت رءوسهم أما الملك فعفى عنه لأن الشعب كان يحبه . وأما لويزه فعزت نفسها بحب الأدب وبرزت فى مضاره . وقد صادقت ليناپوس وجمعت من حولها لفيفاً من الشعراء والفنانين نشرت خلالهم أفكار التنوير الفرنسى . وعين المجلس النيابى معلماً جديداً لابنها ذى الأعوام العشرة ، وأصدر إليه تعليمات بأن يحيط ملك المستقبل جوستافس الثالث بأن الملوك فى الدول الحرة لايحتفظون بعروشهم إلا إذا سمح لهم بشروط ، وأنهم إنما تخلع عليهم الأبهة والجلال « لتشريف المملكة لا لأجل الشخص الذى يتفق أن يشغل المكان الأول فى الموكب « وأنه » بما أن بريق البلاط ووهجه « قد يضللهم بأوهام العظمة ، فإنهم يحسنون صنعاً أن هم تفقدوا أكواخ الفلاحين بين الحين والحين ، ورأوا الفقر الذى يدفع تكاليف الأبهة الملكية »[٣٩] .

وفى ١٢ فبراير ١٧٧١ مات أدولفس فردريك ودعا المجلس جوستافس الثالث ليأتى من باريس ويمتثل لمراسم الملكية .

٢ — جوستافس الثالث

كان أكثر الملوك جاذبية بعد هنرى الرابع ملك فرنسا . وإذ كان وسيماً مرحاً ، عاشقاً للنساء والفنون والسلطة ، فقد لمع وتوهج خلال تاريخ السويد كأنه الشحنة الكهربية دافعاً إلى الحركة كل العناصر الحيوية فى حياة الأمة ، وكان قد أحسن تعليمه على يد كارل تسين ، ودللته أمه المولعة به . وكان من حيث الفكر نابغاً مرهفاً ، ومن حيث الخيال والحس الجمالى موفور الحظ ، لا يستقر على حال لفرط طموحه وكبريائه ، فليس من اليسير أن يكون المرء أميراً متواضعاً . ونقلت إليه أمه عشقها للأدب الفرنسى ، فقرأ فولتير بنهم ، وبعث إليه بعبارات الاحترام ،وحفظ الهنريادة عن ظهر

قلب . وكان السفير السويدى فى باريس يوافيه بكل مجلد من « الموسوعة » عند صدوره . ودرس التاريخ باهتمام وافتتان ، وأطربته سير جوستافس فازا ، وجوستافس أدولفس ، وشارل الثانى عشر ؛ وبعد أن قرأ عن هؤلاء الرجال لم يطق أن يكون ملكاً خاملا . وفى ١٧٦٦ ، زوجه المجلس للأميرة صوفيا مجدلينا ابنة فردريك الخامس ملك الدنمرك دون أن يؤخذ رأيه ، ولا رضى أبويه . وكانت خجولا دمثة الطبع تقية ترى المسرح مكاناً للإثم ؛ أما هو فكان شكاكاً ، يحب الدراما ، ولم يغتفر قط للمجلس إقحامه فى هذا الزواج المتنافر . وهدأ المجلس ثائرته مؤقتاً بمنحة طيبة تتيح له الرحلة إلى فرنسا (١٧٧٠ — ٧١) .

وتوقف فى كوبنهاجن ، وهمبورج ، وبرنزويك ، ولكن باريس كانت مقصده . وتحدى غضب لويس الخامس عشر بزيارة شوازيل المنفى ، وانتهك التقاليد بزيارة مدام دوبارى فى قصرها الريفى فى لوفيسين . والتقى بروسو ، ود الامبير ، — وما رمونتيل ، وجريم ، ولكن ظنه فيهم خاب وكتب لأمه يقول « تعرفت إلى جميع الفلاسفة ، وإنى لأجد كتبهم ألطف كثيراً من أشخاصهم »[٤٠] وسطع نجماً من نجوم الشمال فى صالونات السيدات جوفران ودودفان ود لسبيناس ودبينييه ونكير . وتلقى وسط انتصاراته نبأ يفيده انه أصبح ملك السويد . فلم يتعجل الرجوع ، بل أقام فى باريس ردحاً أتاح له الحصول على معونات مالية كبيرة للسويد من حكومة فرنسا المشرفة على الإفلاس ، و ٣٠٠,٠٠٠ جنيه لاستعماله الشخصى فى ترويض أعضاء مجلس الأمه . وفى الطريق إلى أرض الوطن توقف ليرى فردريك الأكبر الذى أنذره بأن بروسيا ستدافع — بالسلاح إن اقتضى الأمر — عن ذلك الدستور السويدى الذى قيد سلطات الملك تقييداً شديداً .

ووصل جوستافس إلى ستوكهلم فى ٦ يونيو . وفى الرابع عشر افتتح أول مجلس أمة فى عهده بكلام جميل أشبه بذلك الذى افتتح به ملك آخر معوق ، هو جورج الثالث ، برلمانه الأول فى ١٧٦٠ . قال « إننى وقد ولدت ونشأت بين ظهرانيكم تعلمت منذ نعومة أظفارى أن أحب وطنى ، وإنى لأعده أعظم امتياز أننى ولدت سويدياً ، وأكبر شرف أن أكون المواطن الأول

لشعب حر»[٤١] . وقد أكسبته بلاغته ووطنيته تجاوباً حاراً من الأمة ، ولكنهما لم تحركا قلوب رجال السياسة . . وفاز حزب الطواقى — أصدقاء الدستور وروسيا — الذين تمولهم كاترين الثانية بأربعين ألف جنيه ، بأغلبية فى ثلاث من مجالس الطبقات الأربع . ورد جوستافس باقتراض ٢٠٠,٠٠٠ جنيه من المصرفيين الهولنديين ليشترى انتخاب مرشحه رئيساً للمجلس . ولكن كان عليه أن ينتظر تتويجه ، فراجعت مجالس الطبقات التى يسيطر عليها حزب الطواقى يمين التتويج ليربط الملك بتعهد يلتزم فيه بقرار « أغلبية مجالس الطبقات » وأن تكون الكفاية وحدها أساساً لجميع الترقيات . وقاوم جوستافس نصف عام هذه الخطوة نحو الديمقراطية ، وأخيراً وقع (مارس ١٧٧٢) ، ولكنه فى دخيلة نفسه اعتزم الإطاحة بهذا الدستور الكريه لأول بادرة تسنح له .

وقد مهد أرضه بتوطيد شعبيته . ففتح أبوابه للجميع ؛ و « أغدق الهبات كأنه يتلقاها » ، ولم يصرف أحداً غير راض . وقد وافقه نفر من قادة الجيش على أنه لايستطيع تخليص السويد من تسلط روسيا وبروسيا — اللتين كانتا فى هذا الوقت بالذات (٥ أغسطس ١٧٧٢) تقطعان أوصال بولنده — إلا حكومة مركزية قوية لايعوق حركتها مجلس أمة مرتش . وساهم فرجيين السفير الفرنسى بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ دوقاتيه فى نفقات الانقلاب . وفى ١٨ أغسطس رتب جوستافس أن يقابله ضباط الجيش فى الترسانة صباح الغد . وجاء مائتان منهم . فطلب إليهم أن ينضموا إليه فى الإطاحة بنظام حكم فاسد قلق يد عمه أعداء السويد ، فوافقوا كلهم على أن يتبعوه إلا واحداً . أما الخارج على الإجماع ، وهو رودبيك الحاكم العام ، فقد ركب مخترقاً شوارع ستوكهلم داعياً أفراد الشعب إلى حماية حريتهم ، ولكنهم ظلوا غير مكترثين ، لأنهم كانوا معجبين بجوستافس ، ولم يحبوا هذا المجلس الذى كان فى رأيهم يستر أولجاركية من النبلاء ورجال الأعمال وراء أشكال دمقراطية . وقاد الملك الشاب (وقد بلغ السادسة والعشرين) الضباط إلى ثكنات حرس ستوكهلم فتحدث إليهم حديثاً بلغ من الإقناع مبلغاً جعلهم

يتعهدون بتأييده . وبدأ انه يكرر خطوة فخطوة الطريقة التى أوصلت كاترين الثانية إلى السلطة قبل عشر سنوات .

فلما التأم شمل مجلس الأمة فى ٢١ أغسطس وجد ساحته يحيط بها الرماة والقاعة نفسها قد احتلها الجنود . ووبخ جوستافس فى خطاب صنع التاريخ مجالس الطبقات لأنها لوثت نفسها بالتناحر الحزبى والرشوة الأجنبية ، وأمر بأن يقرأ عليها الدستور الجديد الذى أعده معاونوه . وقد احتفظ هذا الدستور بملكية مقيدة ، ولكنه وسع سلطات الملك ؛ فخول له الهيمنة على الجيش والبحرية والعلاقات الخارجية ، وله وحده حق تعيين الوزراء وإقالتهم ، ولا يجتمع مجلس الأمة إلا بدعوة منه ، وله أن يفضه متى شاء ، ولا يناقش المجلس إلا ما قدمه له الملك ، ولكن لا يصبح مشروع قانوناً دون موافقة المجلس ، ويحتفظ المجلس بالإشراف على المالية عن طريق مصرف السويد وحق فرض الضرائب . وليس للملك أن يخوض حرباً هجومية دون موافقة المجلس . والقضاة يعينهم الملك ثم يصبحون غير قابلين للعزل ، ويحمى حق « الهابياس كوريس » كل الأشخاص المعتقلين من تعطيلات القضاء . وطلب جوستافس إلى النواب أن يقبلوا هذا الدستور ، وأقنعتهم أسنة الحراب فقبلوه ، وأقسموا يمين الولاء . وشكر الملك المجلس وفضه واعداً بدعوته من جديد خلال ستة أعوام . واختفى حزبا الطواقى والقبعات . وقد تم الانقلاب فى سرعة لم يرق فيها دم . وبرضى الشعب على ما يلوح . « وقد هتفوا لجوستافس محرراً لهم وأغرقوه دعاء . . . وتعانق الناس وهم يذرفون دموع الفرح »[٤٢] . واغتبطت فرنسا ، أما روسيا وبروسيا فهددتا بالحرب لرد الدستور القديم . ولكن جوستافس لم يهتز ، وتراجعت كاترين وفردريك ، مخافة أن تعرض الحرب مغانمهما البولندية للخطر .

وسلك جوستافس فى العقد التالى مسلك الملك الدستورى — أى أنه خضع للقانون الموضوع . وقام بإصلاحات نافعة . وتبوأ له مكاناً بين حكام القرن « المستبدين المستنيرين » . وأشاد به فولتير باعتباره « الوريث الجدير باسم جوستافس العظيم »[٤٣] . وأما طورجو الذى كان يعانى الإحباط فى

فرنسا . فقد طاب نفساً حين رآى سياساته الاقتصارية تنجح فى السويد ، حيث أجيزت حرية التجارة فى الغلال ، وأطلق عقال الصناعة من نظم النقابات الحرفية التى شلت حركتها . وحفز النجارة تنظيم الموانى الحرة على البلطيق ومدن الأسواق الحرة فى الداخل . واستشير ميرابو الأب فى تحسين الزراعة ؛ وكلف لمرسييه ولا ريفيير بوضع خطة للتعليم العام (٤٤) . وأرسل جوستافس إلى فولتير نسخة من الأمر الذى كفل حرية النشر (١٧٧٤) ، وكتب يقول : « إنك أنت الذى يجب أن تسدى إليك الإنسانية الشكر على تحطيم تلك العقبات التى ألقاها الجهل والتعصب فى طريق تقدمها(٤٥) وقد أصلح القانون والقضاء ، وألغى التعذيب ، وخفف العقوبات ، وثبت العملة . ثم خفف الضرائب على الفلاحين ، وأعاد تنظيم الجيش والأسطول ، ومنح التسامح لجميع المذاهب المسيحية ولليهود فى ثلاث مدن كبرى منهيا بذلك احتكار المذهب اللوثرى لتقوى السويديين ؛ فلما ان دعا مجلس الأمة للانعقاد فى ١٧٧٨ . وافق المجلس على سنوات حكمه الست الأولى دون أن يخرج صوت واحد على الإجماع وكتب جوستافس إلى صديق له « لقد بلغت أسعد مراحل حياتى العملية . فأفراد شعبى مقتنعون بأننى لا أبغى شيئاً غير زيادة رفاهيتهم وتوطيد دعائم حريتهم »(٤٦) .

٣ — التنوير السويدى

وفى زحمة هذا النشاط التشريعى والإدارى . أسهم الملك بكل قلبه فى ذلك التفجر الرائع للآداب والعلوم ، الذى أوقف السويد على قدم المساواة مع التطورات الفكرية الأوربية فى القرن الثامن عشر ؛ وكان هذا عصر لنايوس فى النبات . وشيليه وبرجمان فى الكيمياء ، وقد أشدنا بذكرهما فى غير هذا الموضع — ولكن ربما كان من واجبنا أن ندرج فى قائمة العلم رجلا من ألمع السويديين فى زمانه ، وهو إيمانويل سويد نبورج . لأنه اشتهر أول ما اشتهر بوصفه عالماً . فقد أنجز عملا أصيلا فى الفيزياء والفلك والجيولوجيا والبليونتولوجيا وعلم المعادن والفسيولوجيا وعلم النفس . وحسن المضخة الهوائية باستعمال الزئبق ؛ وإجاد وصف المغنطيسية

والوبيض الفوسفورى ؛ واقترح نظرية سديمية قبل كانط ولا بلاس بزمان ؛ وسبق البحث الحديث فى الغدد الصماء . وبين قبل أى عالم آخر بمائة وخمسين عاماً أن حركة المخ متزامنة مع التنفس لامع النبض . وحدد مكان عمليات العقل الراقية فى سحاء المخ ، وحدد لأجزاء معينة من المخ وظيفة التحكم فى أعضاء معينة من الجسم (٤٧) . وخطب مجلس النبلاء فى النظام العشرى ، وإصلاح العملة ، وموازنة التجارة . وبدا أن عبقريته كلها موجهة إلى العلم . ولكنه حين خلص إلى أن دراساته تقوده إلى نظرية ميكانيكية للعقل والحياة ، وأن هذه النظرية مفضية إلى الإلحاد ، انتقص على العلم بقوة وتحول إلى الدين . وفى ١٧٤٥ بدأ يرى رؤى للجنة والنار ، وانتهى به الأمر إلى تصديق هذه الرؤى حرفياً ، فوصفها فى رسالته « السماء وعجائبها والجحيم » وأخبر قراءه الذين يعدون بالألوف أنهم فى الجنة لن يكونوا أرواحاً مجردة من جسومها بل رجالا ونساء حقيقيين من لحم ودم ، يستمتعون بمباهج الحب الجسدية والروحية . جميعاً . ولم يعظ ، ولا ألف مذهباً أو شيعة ، ولكن تأثيره انتشر فى طول أوربا وعرضها ، فتأثر به ويسلى ، ووليم بليك ، وكولردج ، وكارليل ، وإمرسن ، وبراوننج ، وأخيراً (١٧٨٨) كون اتباعه « كنيسة أورشليم الجديدة » .

على أن السويد رغم معارضته أسلمت عقلها أكثر فأكثر للتنوير . وسرعان ما أسفر استيراد المؤلفات الفرنسية والانجليزية أو ترجمتها عن علمنة للثقافة وتهذيب للذوق والأشكال الأدبية . ووجدت النزعة التحررية الجديدة فى عهد جوستافس الثالث وأمه قبولا واسعاً فى الطبقتين الوسطى والعليا ، حتى بين كبار رجال الدين ، الذين بدأوا يبشرون بالتسامح وبعقيدة ربوبية بسيطة (٤٨) . وكانت الشعارات السائدة فى كل مكان هى « العقل » ، و « التقدم » ، و « العلم » و « الحرية » و « الحياة الطيبة هنا على الأرض » . ونظم لينايوس وغيره الأكاديمية الملكية السويدية للعلوم فى ١٧٣٩ ، وأسس كارل تسين الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة فى ١٧٣٣ . وكانت الأكاديمية الملكية للآداب البحتة قد عاشت فترة قصيرة على عهد الملكة لويزة أولريكا ، فأحياها جوستافس (١٧٨٤) بوقف سخى ، ووجهها لمنح مدالية كل عام

قيمتها عشرون دوقاتية لأفضل إنتاج سويدى فى التاريخ أو الشعر أو الفلسفة ، وفاز هو نفسه بأول جائزة كوفىء بها على ثنائه على لنارت تورشتنسن ألمع قواد جوستافس أدولفس . وفى ١٧٨٦ أسس الملك ، (على حد قوله) «أكاديمية جديدة لتهذيب لغتنا وصقلها ، على غرار الأكاديمية الفرنسية ، ويطلق عليها اسم الأكاديمية السويدية ، وتتألف من ثمانية عشر عضواً. « وأمدت هذه الأكاديمية هى وأكاديمية الآداب البحتة بالمال اللازم لصرف المعاشات للدارسين والمؤلفين السويديين (٤٩) . وكان جوستافس يساعد شخصياً رجال الأدب أو العلم أو الموسيقى ؛ وقد أشعرهم بأن جوده حق لهم ، ورفعهم إلى مقام اجتماعى جديد بدعوتهم إلى بلاطه ، ثم حفزهم بمنافسته إياهم .

وكان فى السويد دراما قبل عهده ، لا سيما بتشجيع من أمه ، ولكنها كانت تزود بالممثلين الفرنسيين الذين يقدمون المسرحيات الفرنسية . فصرف جوستافس الفرقة الأجنبية ، واستنهض المواهب الوطنية لإخراج تمثليات لمسرح سويدى حقاً . وتعاون هو نفسه مع يوهان فيلاندر فى تأليف أوبرا « تيطس وبيليه » ، وعرضت أول مرة فى ١٨ يناير ١٧٧٣ ، واستمر عرضها ثمانى وعشرين ليلة . ثم انصرف الملك إلى السياسة ثمانية أعوام . غير انه عاد إلى تناول القلم من جديد فى ١٧٨١ وألف سلسلة من التمثيليات مازالت تحتفظ بمكانة مرموقة فى الأدب السويدى . وأولى هذه التمثيليات — المسماة (أريحية جوستافس أدولفس ، ١٧٨٢) — كانت فاتحة الدراما السويدية . وكان الملك يستقى موضوعاته من سجلات التاريخ ، وقد علم شعبه تاريخ أمتهم كما علم شكسبير الانجليزى . وفى ١٧٨٢ بنى على حساب الدولة مسرح منيف للدراما والموسيقى . وكان جوستافس يكتب مسرحياته نثراً ، ثم يصوغها يوهان كلجرين شعراً ، ثم يدفعها إلى مؤلفين موسيقيين أجانب ليضعوا موسيقاها . وهكذا أصبحت تمثلياته أوبرات . وكانت أشهى ثمرات هذا التعاون « جوستاف أدولف وإيبا براهى» التى أحيت ذكرى قصة غرام القائد العظيم ، وجوستاف فازا ، التى وصفت تحرير أول جوستاف للسويد من الحكم الدنمركى .

وبفضل هذه القيادة الملكية ، وبفضل ثلاث جامعات (أوبصالا ،

وآبو ، ولوند) دخلت السويد حركة تنويرها الخاصة . ومهد للحركة أولوف فون دالين بتمهيد أديسونى (أى على طريقة جوزف أديسون) بكتابته غفلا من التوقيع ، ونشره دوريا (١٧٣٣ — ٣٤) مجلة دنسفنسكا أرجوس » التى ناقش فيها كل شىء إلا السياسة ؛ بأسلوب صحيفة سبكتيتور المهذب ، وابتهج كل قارىء تقريباً بما كتب ، ووافق مجلس الأمة على إجازة الكاتب الذى طلع الآن من مخبئه . وعينته الملكة لويزه أولريكا شاعراً للبلاط ومعلماً لإبنها الذى أصبح جوستافس الثالث . فقيد المنصب شاعريته وبلدها ، ولكنه أتاح له من الوقت والمال ما أعانه على كتابة رائعته فى تاريخ السويد ، وهو أول تاريخ نقدى لمملكة السويد .

وكانت أطرف الشخصيات فى كوكبة الشعراء الجديدة امرأة تسمى هدفيج نوردنفليشت ، وهى للسويد قريع لسافو ، وأسباسيا ، وشارلوت برونتى فى أوطانهن . وقد أفزعت أبويها المتزمتين بقراءتها المسرحيات والشعر ، فعاقباها ، ولكنها لم تنته ، وكتبت شعراً فيه من الحلاوة والفتنة ما أكرههما على أن يروضا نفسيهما على هذه الفضيحة . ولكنهما أجبراها على الزواج من ناظر ضيعتهما ، وكان رجلا حكيماً دميم الوجه ، قالت « كنت أحب أن أصغى إليه فيلسوفاً ، ولكن منظره عاشقاً كان لايحتمل»(٥٠). وتعلمت أن تحبه ، ولكنه لم يلبث أن مات بين ذراعيها بعد زواجهما بثلاث سنين . وأنهى قسيس وسيم حدادها بخطبتها ، فأصبحت زوجاً له ، واستمتعت « بأسعد حياة تتاح لإنسان فان فى هذا العالم الناقص » ، ولكنه مات بعد سنة ، وكادت هدفيج تجن حزناً عليه . فاعتكفت فى كوخ على جزيرة صغيرة ، وبثت حزنها فى قصائد حظيت بقبول حسن حملها على الانتقال إلى ستوكهولم حيث ظلت تصدر كل سنة (١٧٤٤ — ٥٠) « حكماً للنساء ، بقلم راعية من الشمال » وأصبح بيتها صالوناً يلتقى فيه صفوة المجتمع والفكر . وحذا حذوها الشعراء الشبان أمثال فردريك جلينبورج وجوستاف كروتز فى اتخاذ الأسلوب الفرنسى الكلاسيكى وفى اعتناق التنوير . وفى ١٧٥٨ ، حين بلغت الأربعين ، وقعت فى غرام يوهان فشرشنروم ، وكان فى الثالثة والعشرين ، واعترف لها بأنه يحب امرأة غيرها ، ولكنه حين رأى

هيدفج وحيدة مبتئسة عرض عليها الزواج . فرفضت هذه التضحية ، وحاولت إغراق نفسها حلا للمشكلة ، فأنقذت ، ولكنها ماتت بعد ثلاثة أيام. ومازالت « راعية الشمال » علماً من أعلام الأدب السويدى .

وحذا كروتز حذو خيالها الرومانسى المحلق بمجموعة رقيقة جداً من الأغانى سماها « أتيس وكاميللا» (١٧٦٢) ، ظلت سنين كثيرة أعظم ما يعجب به القراء من قصائد فى هذه اللغة . فكاميللا ، بوصفها كاهنة لديانا ، تنذر للعفة ، ولكن أتيس الصياد يراها فتهفو نفسه إليها ويضرب فى الغابات يائساً . وتتحرك عاطفة كاميللا أيضاً فتسأل ديانا « أليس ناموس الطبيعة مقدساً قداسة أمرك ؟ » ثم تصادف أيلا جريحاً فتعنى به وتخفف ألمه ، فيلعق يدها ، ويتوسل إليها أتيس أن تهبه امتيازات مماثلة ، فتوبخه ، فيقفز من جرف عال طلباً للموت ، ولكن كيوبيد يعترض سقطته ، وتحنو عليه كاميللا وترضى بعناقه ، غير أن ثعباناً ينشب نابه فى صدرها المرمرى ، فتموت بين ذراعى أتيس . ويمص أتيس السم من جرحها فيشرف على الموت . وتلين قناة ديانا ، فتردهما إلى الحياة ، وتحل كاميللا من نذورها العذرية . وينتهى كل شىء نهاية سعيدة . وقد أشاد بهذه القصيدة الرعوية المثقفون السويديون كما أشاد بها فولتير ، ولكن كروتز انصرف إلى السياسة وأصبح مستشاراً للسويد .

وإذا كانت هدفيج نورد نفليشت هى سافو السويد ، فإن كارل بلمان كان روبرت بيرنز السويد . نشأ فى أحضان العز والتقوى ، ولكنه تعلم أن يفضل أغانى الحانات المرحة على ترانيم بيته الكئيبة . ففى الحانات كانت حقائق الحياة والوجدان تعلن دون اكتراث بالتقاليد واللياقة ، وفيها يعرى الخمر كل نفس فتتيح للحقيقة أن تتكشف بين الوهم والغضب . وكان أكثر الشخصيات بعثاً للأسى فى هذا الحطام البشرى يان فريدمان ، الذى كان يوماً ما صانع ساعات البلاط ، والذى حاول الآن أن ينسى فى الشراب فشل زواجه . وأكثرها مرحاً ماريا كيلشتروم ، ملكة الأعماق السفلى . وقد غنى بلمان أغانيهم معهم ، وألف الأغانى عنهم ، وأنشدها أمامهم على أنغام موسيقى من تأليفه . وقد شاب بعض أغانيه شىء من التحلل ، فوبخه

كيلجرين ، الأمير غير المتوج لشعراء العصر . ولكن حين أعد بلمان « رسائل فريدمان » للطبع (١٧٩٠) قدم كلجرين لهذه الرسائل الشعرية بمقدمة حماسية ، وحظى الكتاب بجائزة من الأكاديمية الملكية السويدية . واستمع جوستافس الثالث إلى بلمان فى سرور ، ولقبه « أناكريون الشمال » ومنحه وظيفة شرقية فى الحكومة . على أن اغتيال الملك (١٧٩٢) ترك الشاعر بغير مورد ، فتردى فى مهاوى الفقر ، وحبس للدين ، ثم أفرج عنه بمعونة أصدقائه . وبينما كان مشرفاً على الموت بالسل وهو فى الخامسة والخمسين أصر على زيارة حانته الأثيرة لآخر مرة ، وراح يغنى فيها حتى بح صوته . ولم يلبث أن وافته منيته فى ١١ فبراير ١٧٩٥ . ويعده البعض « أكثر الشعراء السويديين أصالة » و « بالإجماع أعظم شاعر فى زمرة الشعراء » الذين شرفوا هذا العهد (٥١) .

ولكن الرجل الذى أقر معاصروه بأنه لا يفضله سوى الملك فى حياة العصر الفكرية هو يوهان هنريك كيلجرين . كان ابنا لقسيس ، ولكنه تنكر للعقيدة المسيحية ، وسار فى ركاب التنوير الفرنسى ، ورحب بكل لذائذ الحياة ومتعها بأقل قدر من الندم . وكان أول كتبه « ضحكى » ، أغنية طويلة للفرح ، بما فيه أفراح العشق ؛ وقد أشاد كيلجرين بالضحك باعتباره « العلامة الوحيدة الإلهية المميزة للبشرية » وناشده أن يصحبه حتى آخر أيامه (٥٢) . وفى ١٧٧٨ ، وهو فى السابعة والعشرين ، اشترك مع كارل بيتر لنجرين فى تأسيس مجلة « بريد ستوكهولم » ، وقد جعل قلمه المرح هذه المجلة الصوت الغالب فى الحياة العقلية السويدية على مدى سبعة عشر عاماً ؛ وفى صفحاتها بسط التنوير الفرنسى سلطانه كاملا ، وشرف الأسلوب الكلاسيكى باعتباره اسمى معيار للتفوق . وسخرت المجلة من الرومانسية الألمانية ، وامتدحت خليلات كلجرين فى قصائد أفزعت المحافظين فى البقاع النائية . على أن اغتيال ميلكه المحبوب انتزع من فلسفة اللذة التى دان بها الشاعر . وفى ١٧٩٥ أفلت منه زمام إحدى علاقاته الغرامية فعمقت حتى أصبحت حباً صادقاً . وبدأ كيلجرين يعترف بحقوق الرومانس ، والمثالية ، والدين ، وعدل عن إدانته لشيكسبير وجوته ، ورأى أن رأس الحكمة قد يكون مخافة

الله (رغم كل شيء) . على أنه حين مات (١٧٩٥) غير متجاوز الرابعة والأربعين . طلب ألا تقرع لموته نواقيس[٥٣] وهكذا عاد فى النهاية ابنا لفولتير .

ومن النواحى الساحرة فى خلقه استعداده لفتح أعمدة مجلته لمعارضى آرائه . وكان أعنفهم توماس توريلد ، الذى أعان الحرب على التنوير باعتباره الإعجاب الفج بالفكر السطحى . وقد روع توريلد ستوكهولم وهو فى الثانية والعشرين بكتابه « العواطف المشبوبة » الذى قال عنه إنه « يحوى القوة الكاملة لفلسفتى والبهاء كله لخيالى — طليقاً ، نشوان ، رائعاً » . وصرح بأن « حياته بأسرها مكرسة . . . للكشف عن الطبيعة وإصلاح العالم »[٥٤] . والتف حوله نفر من الأدباء المتمردين الذين أججوا نارهم بوقود الحركة الزوبعية وفضلوا كلوبشتوك على جوته ، وشكسبير على راسين . وروسو على فولتير . فلما أخفق توريلد فى كسب جوستافس لصفه ، هاجر إلى انجلتره (١٧٨٨) ، وغذى روحه بجيمس طومس ، وإدوارد يونج ، وصموئيل رتشردسن ، وانضم إلى المتطرفين الذين ناصروا الثورة الفرنسية . وفى ١٧٩٠ قفل إلى السويد ونشر دعوة سياسية حملت الحكومة على نفيه . وبعد أن قضى عامين فى ألمانيا سمح له بالعودة إلى السويد حيث استكان إلى كرسى فى الجامعة .

وقد لمع فى سماء الأدب نجوم آخرون . منهم كارل جوستافـ آف ليوبولد الذى سر الملك بما اتسم به شعره من شكل كلاسيكى وطابع مهذب ؛ ومنهم بنجت ليدنر الذى آثر الرومانس كما آثره توريلد . وقد طرد من جامعة لوند لمغامراته الطائشة (١٧٧٦) ، ثم واصل دراساته وانحرافاته فى روشتوك ، فوضع على ظهر سفينة مبحرة إلى جزر الهند الشرقية . ولكنه هرب منها ، وعاد إلى السويد ، وأثار انتباه جوستافس بديوان من القصص الخرافية الشعرية ؛ وقد عين سكرتيراً للكونت كرويتز فى سفارة باريس وهناك درس النساء أكثر من السياسة ، فأرسل إلى وطنه ، حيث مات

فقيراً فى الخامسة والثلاثين (١٧٩٣) . وقد كفر عن حياته بثلاثة دواوين تضطرم بنار بايرونية . ثم هناك شاعرة متواضعة هى آنا ماريا لنجرين ، زوجة مساعد كيلجرين فى تحرير مجلة بريد ستوكهولم . فقد أسهمت فيها بشعر أكسبها ثناء خاصاً من الأكاديمية الملكية السويدية . ولكنها لم تسمح لربة شعرها أن تعوقها عن أداء واجباتها المنزلية ؛ وفى قصيدة موجهة إلى ابنة وهمية نصحتها بأن تتجنب السياسة والمجتمع وتقنع بواجبات البيت ومباهج الحياة البيتية .

ونسأل الآن : هل قامت فى الفن السويدى أى حركة تتجاوب مع الأدب والدراما ؟.. قليلا ما ... ومن أمثلتها أن كارل جوستاف التسينى زخرف بالروكوك (حوالى ١٧٥٠) القصر الملكى الذى بناه أبوه نيقود يموس تسين فى ١٦٩٣ — ٩٧ ؛ وجمع مجموعة وافرة من الصور والتماثيل هى الآن جزء من متحف ستوكهولم القومى . وحفر يوهان طوبياس زرجيل بالأسلوب الكلاسيكى تمثالا لفينوس وآخر لفون سكران (وهو إله الحقول والقطعان) ، وخلد فى الرخام ملامح يوهان باش الغليظة . وكان هناك أربعة مصورين فى أسرة باش : لورنتس الأكبر ، وأخوه يوهان ، وأخته أولريكا ، ولورنتس الأصغر ، وصور كل منهم الملكية والنبالة ، وكانوا جانباً متواضعاً فى التنوير الرائع الذى ازدان به هذا الحكم .

٤ — الاغتيـــال

كان الملك ذاته هو الذى ختم هذا الازدهار الرائع ختاماً حزيناً . ذلك أن الثورة الأمريكية التى عضدتها فرنسا أعظم تعضيد بدت له خطراً يتهدد كل الملكيات ، فوصف المستعمرين بأنهم « رعايا متمردون » وأقسم أنه لن يعترف بهم أمة حتى يحلهم ملك انجلتره من يمين الولاء له [٥٥] . وراح فى العقد الأخير من عمره يحكم زمام السلطة الملكية أكثر فأكثر . ويحيطها بالاحتفالات والمراسم ، ويقصى معاونيه الأكفاء ذوى العقول المستقلة ليحل محلهم خداماً له يمتثلون لرغباته دون تردد أو معارضة . وبدأ يقيد الحرية التى منحها للمطبوعات . وحين وجد زوجته امرأة غبية خاملة إنغمس فى

مغازلات (٥٦) صدمت الرأى العام الذى كان يتوقع من ملوك السويد أن يكونوا للأمة قدوة فى المحبة والولاء الزوجيين . ثم نفر الشعب بتقريره احتكار الحكومة لتقطير المسكرات ، وتهرب الفلاحون الذين ألفوا أن يقطروا شرابهم بأنفسهم من هذا الاحتكار بعشرات الحيل . وقد أنفق مالا متزايداً على الجيش والبحرية ، وكان يتأهب بشكل ظاهر للحرب مع الروسيا . فلما جمع مجلس الأمة مرة ثانية (٦ مايو ١٧٨٦) افتقد فى طبقاته ذلك الإجماع الذى وافق به مجلس ١٧٧٨ على قوانينه ، ورفض المجلس مقترحاته كلها تقريباً ، أو عدلها تعديلا أفقدها قيمتها ، فاضطر الملك إلى إلغاء احتكار الحكومة لتقطير الخمور . وفى ٥ يوليو فض المجلس وقرر أن يحكم البلاد دون موافقته .

وكانت هذه الموافقة طبقاً لدستور ١٧٧٢ ضرورية فى أى حرب إلا الحرب الدفاعية . وكان جوستافس ينوى الهجوم على روسيا . فما السبب ؟ لقد علم أن روسيا والدنمرك قد وقعتا (١٢ أغسطس ١٧٧٤) معاهدة سرية للعمل الموحد ضد السويد . وزار كاترين الثانية فى سانت بطرسبرج فى ١٧٧٧ ، ولكن تظاهرهما بالصداقة لم يخدع المضيفة ولا ضيفها . فلما تكاثرت انتصارات روسيا على تركيا ، خشى جوستافس إذا لم يقم بعمل لإنهائها أن توجه الامبراطورية عاجلا جيوشها الضخمة غرباً بأمل إخضاع السويد لمشيئتها على نحو ما فعلت ببولنده ؛ فهل من سبيل لإحباط تلك الخطة ؟ لاسبيل فى رأى الملك إلا أن تعان تركيا بهجوم جناحى على سانت بطرسبرج . وساعده السلطان على اتخاذ هذا القرار بعرضه على السويد إعانة قدرها مليون قرش كل سنة على امتداد السنوات العشر التالية إذا انضمت إليه فى الجهد المبذول لكبح جماح كاترين . وعلل الملك نفسه بأن السويد قد تستطيع الآن أن تسترد ما أسلمته لبطرس الأكبر فى ١٧٢١ . وعليه ففى ١٧٨٥ بدأ جوستافس فى تجهيز جيشه وبحريته للحرب . وفى ١٧٨٨ أرسل إلى روسيا انذاراً نهائياً طالب فيه برد كاريليا وليفونيا للسويد ، وبرد القرم لتركيا . وفى ٢٤ يونيو أبحر قاصداً فنلنده . وفى ٢ يوليو ، تولى فى هلسنجفورس قيادة قواته المتجمعة ، وشرع فى الزحف على سانت بطرسبرج .

ولكن الحظ خانه فى كل شىء فالأسطول أوقفه أسطول روسى صغير فى معركة غير حاسمة تجاه جزيرة هوجلاند (١٧ يوليو) . وتمرد فى الجيش ١١٣ ضابطاً . متهمين الملك بأنه حنث بعهده بألا يشن حرباً هجومية دون موافقة مجلس الأمة . ووافدوا مبعوثاً إلى كاترين يعرضون عليها أن يضعوا أنفسهم تحت حمايتها وأن يتعاونوا معها فى جعل فنلنده السويدية والروسية دولة مستقلة . وجردت الدنمرك على عجل خلال ذلك جيشاً يهاجم جوتبورج ، أغنى مدينة فى السويد . وتقبل جوستافس هذا الغزو باعتباره تحدياً يستنفر شعبه ، ووجه نداءه إلى الأمة لاسيما الفلاحين الصلاب أهل مناطق التعدين المسمين « ديلز » ليعطوه جيشاً جديداً أكثر ولاء له . وذهب بشخصه مرتدياً الزى الذى يتميز به رجال الديلز ليخطبهم من فناء الكنيسة فى قرية مورا وهو الفناء الذى التمس فيه جوستافس فازا معونتهم فى ١٥٢١ . واستجاب الشعب ، وتألفت أفواج المتطوعين فى مائة مدينة . وفى سبتمبر ركب الملك الذى كان يقاتل لأجل حياته السياسية ٢٥٠ ميلا فى ثمان وأربعين ساعة ، وشق طريقه إلى جوتبرج . واستنفز الحامية لتواصل دفاعها ضد اثنى عشر ألف من الدنمركيين الذين يحاصرونها . وتحول الحظ إلى جانبه . ذلك أن بروسيا التى كرهت أن ترى السويد تخضع لروسيا هددت بشن الحرب على الدنمرك . فانسحب الدنمركيون من الأرض السويدية . وعاد جوستافس ظافراً إلى عاصمته .

أما وقد اشتد ساعده بجيش جديد موال له فقد دعا مجلس الأمة للانعقاد فى ٢٦ يناير ١٧٨٦ . وأيد سبعمائة عضو من أعضاء مجلس النبلاء — وعددهم ٩٥٠ — الضباط المتمردين ، ولكن المجالس الأخرى — القساوسة ، وأهل المدن ، والفلاحين — ناصروا الملك بأغلبية ساحقة . وأعلن جوستافس الحرب السياسية على النبلاء بتقديمه لمجلس الأمة « قانوناً للوحدة والأمن » أنهى كثيراً من امتيازات الطبقة الارستقراطية ، وفتح باب المناصب كلها تقريباً للعامة . وأعطى الملك سلطات ملكية مطلقة فى التشريع والإدارة والحرب والسياسة الخارجية . وأعطى الطبقات الثلاث الدنيا القانون ، أما طبقة النبلاء فقد رفضته [illegible] . واعتقل جوستافس واحداً وعشرين نبيلا . و[illegible]

الكونت فردريك آكسل فون فرسن والبارون كارل فردريك فون بكلين— وأحدهما رجل شريف الخلق غير فعال ، والآخر ذكى غادر . ولكن سلطة المال ظلت فى يد مجلس الأمة ، وكانت موافقة المجالس الأربعة جميعها شرطاً لإقرار الاعتمادات المالية . ووافقت مجالس الطبقات الثلاث الدنيا على المال الذى طلبه الملك — للفترة التى يراها ضرورية — لمواصلة الحرب ضد روسيا ، أما مجلس النبلاء فرفض أن يوافق على الاعتمادات لأكثر من سنتين . وفى ١٧ أبريل دخل الملك مجلس النبلاء ، واتخذ مقعد الرئيس ، وطلب إلى النبلاء أن يوافقوا على قرار المجالس الثلاثة الأخرى . ورجحت كفة الرافضين، ولكن الملك أعلن أن اقتراحه فاز . وشكر النبلاء على تأييدهم الكريم ، ثم خرج بعد أن خاطر باغتباله بأيدى النبلاء الساخطين .

وأحس الآن أنه مطلق اليد فى خوض الحرب . فأعاد فيما بقى من عام ١٧٨٩ بناء الجيش والأسطول . وفى ٩ يوليو ١٧٩٠ التقت بحريته بالبحرية الروسية فى الجزء السفنسكوندى من خليج فنلنده ، وأحرز أعظم نصر حاسم فى تاريخ السويد البحرى ، وخسر الروس ثلاثاً وخمسين سفينة و ٩,٥٠٠ رجل . واستعدت كاترين الثانية لعقد الصلح وهى ما تزال مشغولة بالترك ، فوافقت بمقتضى معاهدة فارالا (١٥ أغسطس ١٧٩٠) على أنها جهودها للهيمنة على سياسة السويد ، وأعيدت الحدود إلى ماكانت عليه قبل الحرب . وفى ١٩ أكتوبر ١٧٩١ أقنعها جوستافس بأن تبرم معه حلفاً دفاعياً تعهدت فيه بأن ترسل للسويد كل عام ٣٠٠,٠٠٠ روبل .

ولا ريب فى أن خوف العدوين القديمين المشترك من الثورة الفرنسية حوطهما إلى هذه المشاركة الجديدة . وتذكر جوستافس فى عرفان أن فرنسا كانت الصديق الوفى للسويد طوال ٢٥٠ عاماً ، وأن لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر أمداه بمعونة بلغت ٣٨,٣٠٠,٠٠٠ جنيه بين عامى ١٧٧٢ و ١٧٨٩ . واقترح تأليف عصبة من الأمراء والملوك تغزو فرنسا وتعيد الملكية إلى سابق قوتها ، وأوفد هانز آكسل فون فرسن (وهو ابن عدوه الكونت فون فرسن) ليدبر فرار لويس السادس عشر من باريس ،

وذهب بنفسه إلى إكس — لا — شابل ليقود جيش الحلفاء ، وسمح للمهاجرين الفرنسيين بالالتجاء إلى معسكرة . وقدمت كاترين المال دون الرجال . ورفض ليوبولد الثانى التعاون ، وقفل جوستافس إلى ستوكهولم ليحمى عرشه .

ذلك أن النبلاء الذين قضى على سيادتهم السياسية لم يرتضوا الهزيمة ، وكانوا يرون فى حكم جوستافس الاستبدادى انتهاكاً صريحاً للقانون الذى أقسم من قبل على مساندته . وأطال يعقوب انكارشتروم التفكير فى سقوط طبقته ، « لقد فكرت كثيراً فى أنه قد يكون هناك سبيل مشروع لجعل الملك يحكم وطنه وشعبه بمقتضى القانون ومحبة الخير ، ولكن كل الأدلة قامت ضدى . . . فخير أن يغامر إنسان بحياته فى سبيل المصلحة العامة » ، وفى ١٧٩٠ حوكم بتهمة التحريض « لقد عقدت هذه المحنة . . . عزمى على أن أموت خيراً من أن أحيا حياة تعسة ، حتى إن قلبى الذى طبع فى غير هذا على الحساسية والمحبة انقلب قاسياً أشد القسوة فيما يتصل بهذه الفعلة الشنيعة »(٥٧). وانضم بكلين — كونت كارل هورن — وغيره إلى المؤامرة التى بيتت قتل الملك .

وفى ١٦ مارس ١٧٩٢ . وهو تاريخ يذكر بقيصر ذكرى مشئومة ، تلقى جوستافس رسالة تحذره من الذهاب إلى مرقص تنكرى حددت له تلك الليلة فى المسرح الفرنسى . وذهب الملك نصف مقنع ، ولكن الأوسمة التى حملها على صدره كانت تشى بمقامه . فتعرف عليه أنكارشتروم ، وأطلق عليه النار ، ثم فر هارباً . وحملوا جوستافس إلى مركبة مضوا بها إلى القصر الملكى مخترقين جمعاً هائجاً مضطرباً . وكان ينزف نزفاً خطراً ، ولكنه علق مداعباً بأنه أشبه بباباً يحمل فى موكب يخترق طرق روما . ولم يمض على الهجوم ثلاثة ساعات حتى قبض على أنكارشتروم ، ثم على رؤوس المؤامرة أجمعين بعد أيام . واعترف هورن بأن المؤامرة تضم مائة متآمر .

وطالبت الجماهير بإعدامهم ، وأوصى جوستافس بالترفق بهم . فجلد أنكارشتروم ، وقطع رأسه ، ومزق جسده أرباعاً ، وأفسح لجوستافس فى الأجل عشرة أيام ، فلما أنبئ بأن لم يبق له فى الحياة غير ساعات ، أملى وثائق بتعيين هيئة وصاية تحكم البلاد والعاصمة . ثم مات فى ٢٦ مارس ١٧٩٢ بالغاً من العمر خمسة وأربعين عاماً . وبكته الأمة كلها تقريباً ، لأنها تعلمت أن تحبه رغم أخطائه ، وأدركت أن السويد تحت قيادته عاشت عصراً من أمجد العصور فى تاريخها .

.....

www.ipdf.kz

CHAPTER XVI

1. Montagu, Lady Mary W., *Letters*, I, 372; *cf.* Macdonald, Duncan, *The Religious Attitude to Life in Islam*, 126.
2. Lane, Edward W., *Manners and Customs of the Modern Egyptians*, I, 148; Macdonald, Duncan, *Development of Muslim Theology*, 283; Wherry, E. M., *Commentary on the Quran*, I, 281.
3. Macdonald, D., *Religious Attitude*, 126.
4. Doughty, Charles M., *Travels in Arabia Deserta*, II, 99.
5. Halsband, Robert, *Life of Lady Mary Wortley Montagu*, 73.
6. Lane-Poole, Stanley, *Story of Turkey*, 319.
7. Burton, Sir Richard, *Personal Narrative of a Pilgrimage to Al-Madinah and Meccah*, II, 94.
8. Letter of Apr. 18, 1717, in Montagu, *Letters*, I, 318.
9. Letter of Apr. 1, 1717, in same, 286.
10. Friedländer, L., *Roman Life and Manners*, II, 201.
11. Frederick, *Mémoires*, I, 55.
12. Sir Wm. Petty, *Political Arithmetic* (1683).
13. Halsband, 74.
14. See *The Age of Louis XIV*, 425-26.
15. Lane, I, 272.
16. Lane-Poole, *Cairo*, 180.
17. Lane, I, 98.
18. *Ibid.*, 66.
19. *Enc. Brit.*, I, 618a.
20. *Ibid.*, XV, 816d.
21. Toynbee, *A Study of History*, I, 162.
22. Browne, Edward G., *Literary History of Persia*, IV, 135.
23. *Ibid.*, 136; Sykes, Sir Percy, *History of Persia*, II, 260.
24. *Ibid.*, 267.
25. *Enc. Brit.*, XII, 705b; Pope, Arthur U., *Survey of Persian Art*, IV, 470, 497-506.
26. Sykes, II, 201.
27. Pope, Arthur U., *Introduction to Persian Art*, 140.
28. Browne, E. G., IV, 282.
29. *Ibid.*, 292-96.

CHAPTER XVII

1. Frederick the Great, *Mémoires*, I, 207.
2. Lyashchenko, Peter, *History of the National Economy of Russia*, 271-73.
3. *Ibid.*
4. Réau, Louis, *L'Art russe*, II, 88.
5. Florinsky, M. T., *Russia: A History and an Interpretation*, I, 575.
6. Mavor, James, *Economic History of Russia*, I, 477.
7. Reau, II, 88.
8. Mavor, I, 498-99.
9. Bernal, J. D., *Science in History*, 360.
10. Coxe, Wm., *Travels in Poland, Russia, Sweden, and Denmark*, I, 281-82.
11. Castéra, J., *History of Catherine II*, 174.
12. Dorn, *Competition for Empire*, 70.
13. Florinsky, I, 600; Brückner, A., *Literary History of Russia*, 113.
14. Coxe, *Travels*, I, 322.
15. Masson, *Memoirs of Catherine II and Her Court*, 250.
16. Pougin, Arthur, *Short History of Russian Music*, 10 f.
17. Réau, II, 55.
18. Brückner, 78.
19. Waliszewski, K., *History of Russian Literature*, I, 57.

20. Wiener, Leo, *Anthology of Russian Literature*, I, 224-29.
21. Rambaud, Alfred, *History of Russia*, II, 170.
22. Waliszewski, *Peter the Great*, 224.
23. Waliszewski, *Russian Literature*, 83.
24. *Ibid.*
25. 85.
26. Catherine the Great, *Memoirs*, 60.
27. Waliszewski, *Romance of an Empress*, 47.
28. *Ibid.*
29. 25.
30. Kluchevsky, V. O., *History of Russia*, IV, 354.
31. Catherine, *Memoirs*, 58.
32. Gooch, G. P., *Catherine the Great*, 11.
33. *CMH*, VI, 317.
34. Carlyle, *History of Frederich the Second*, V, 294.
35. Waliszewski, *Romance of an Empress*, 34.
36. Kluchevsky, IV, 358.
37. Casanova, *Memoirs*, I, 33-34.
38. *CMH*, VI, 658.
39. Catherine, *Memoirs*, 28.
40. *Ibid.*, 44-45.
41. 29-30.
42. 54.
43. 62.
44. 63.
45. 65.
46. *CMH*, VI, 659.
47. Waliszewski, *Romance*, 78.
48. *Ibid.*
49. Kluchevsky, IV, 360.
50. Castéra, 122-23.
51. Waliszewski, *Romance*, 91.
52. Catherine, *Memoirs*, 203.
53. Castéra, 89.
54. Walpole, H., *Memoirs of the Reign of King George III*, I, 145.
55. Catherine, *Memoirs*, 208.
56. Gooch, *Catherine*, 8.
57. Catherine, 301.
58. *Ibid.*, 240.
59. 255 f.
60. Waliszewski, *Romance*, 102; Crocker, *The Embattled Philosopher*, 378.
61. Catherine, 271-74; Waliszewski, *Romance*, 119.
62. *Ibid.*, 125.
63. Catherine, 282.
64. Waliszewski, *Romance*, 145.
65. *Enc. Brit.*, XVII, 645b
66. Castéra, 153.
67. Rambaud, II, 175.
68. Kluchevsky, IV, 366.
69. Castéra, 147, 157.
70. *Ibid.*, 156; *CMH*, VI, 328.
71. Kluchevsky, IV, 362.
72. Castéra, 152.
73. Waliszewski, *Romance*, 166.
74. *Ibid.*, 166; Castéra, 158.
75. Waliszewski, 166.
76. *Ibid.*, 164.
77. Gooch, *Catherine*, 16.
78. Catherine, 343.
79. *Ibid.*
80. Waliszewski, *Romance*, 176.

CHAPTER XVIII

1. Letter of Catherine to Potemkin, Aug. 2, 1762, in Catherine, *Memoirs*, 347.
2. Kluchevsky, IV, 371.
3. Catherine, 345.
4. Kluchevsky, IV, 371.
5. Catherine, 345.
6. Florinsky, I, 502.
7. *CMH*, VI, 663.
8. Waliszewski, *Romance of an Empress*, 199.
9. *Ibid.*
10. Catherine, 370.
11. Gershoy, *From Despotism to Revolution*, 303.
12. Rambaud, II, 207.
13. Florinsky, I, 504.
14. Brandes, *Voltaire*, 253.
15. Florinsky, I, 504.
16. Catherine, 263-72.
17. Masson, *Memoirs of Catherine II and Her Court*, 97.
18. Waliszewski, *Romance*, 383-88. Gooch, *Catherine*, 38.
19. Waliszewski, 4-6.
20. Masson, *Memoirs*, 98.
21. *Ibid.*
22. Catherine, 360.
23. *Ibid.*, 20.
24. Lewis, D. B. W., *Four Favorites*, 197.
25. Catherine, 376.
26. *Ibid.*, 48.
27. Gooch, *Catherine the Great*, 45.
28. Masson, *Memoirs*, 116.
29. Waliszewski, *Romance*, 448.
30. Masson, 118.
31. Parton, *Life of Voltaire*, II, 386; Gooch, 58.
32. Voltaire, letter of May 18, 1767, in Desnoiresterres, VI, 380.
33. Parton, II, 388.
34. Desnoiresterres, VI, 380.
35. Letter of Sept. 7, 1764.
36. Crocker, *Embattled Philosopher*, 373.
37. Diderot, *Oeuvres*, 28.
38. In Ellis, Havelock, *The New Spirit*, 47.
39. Morley, John, *Diderot*, II, 113.
40. *Ibid.*, 114.
41. In Faguet, *Dix-huitième Siècle*, 242.
42. Crocker, 380.
43. Sainte-Beuve, *Portraits of the 18th Century*, II, 215.

44. Padover, *Revolutionary Emperor*, 161.
45. Sainte-Beuve, II, 216.
46. Catherine, 365.
47. Castéra, 226; *cf.* Waliszewski, *Romance*, 371-82.
48. Coxe, *Travels in Poland*, III, 156; Castéra, 385.
49. Quoted by Voltaire in *Philosophical Dictionary*, II, 102.
50. Florinsky, I, 511; *CMH*, VI, 686.
51. In Gooch, *Catherine*, 69.
52. Voltaire to Catherine, Feb. 26, 1769.
53. In Rambaud, II, 206.
54. Voltaire, *Phil. Dict.*, art. "Power."
55. Mavor, *Economic History of Russia*, I, 241; Rambaud, II, 211.
56. Waliszewski, *Romance*, 365.
57. Garrison, F., *History of Medicine*, 400.
58. Castéra, *Catherine*, 297; Rambaud, II, 212.
59. Mavor, I, 313-14.
60. *Ibid.*, 472.
61. *CMH*, VI, 690.
62. Waliszewski, *Romance*, 298.
63. Lyashchenko, 273.
64. Mavor, I, 204-08.
65. Gershoy, 125.
66. Catherine, *Memoirs*, 385.
67. Gershoy, 123.
68. Florinsky, I, 567-68.
69. Waliszewski, *Romance*, 321.
70. *Ibid.*
71. Rambaud, II, 192; *Cambridge History of Poland*, II, 103.
72. Gooch, *Catherine*, 63.
73. Rambaud, II, 192.
74. *CMH*, VI, 674.
75. Quoted by George Bancroft in *Literary and Historical Miscellanies*, 359.
76. Gooch, *Catherine*, 51.
77. Lewis, *Four Favorites*, 213.
78. *Ibid.*, 179.
79. 215; Bain, R. N., *The Last King of Poland*, 175.
80. Florinsky, I, 531.
81. Catherine, 15.
82. Gilbert, *Prince de Ligne*, 139; Waliszewski, *Romance*, 209.
83. Castéra, 575.
84. Gooch, *Catherine*, 96.
85. Reddaway, *Frederick the Great*, 340.
86. Waliszewski, *Romance*, 233, 287.
87. *Ibid.*, 388.
88. Catherine, 377.
89. *CMH*, VI, 696.
90. Waliszewski, *Romance*, 237.
91. Wiener, *Anthology of Russian Literature*, I, 272-76.
92. *Ibid.*, 385.
93. 390.
94. 381.
95. Waliszewski, *History of Russian Literature*, 103.
96. Brückner, *Literary History of Russia*, 102.
97. *Ibid.*, 115.
98. 116.
99. 105-07.
100. Waliszewski, *Romance of an Empress*, 342.
101. Réau, *L'Art russe*, II, 111.
102. *Ibid.*, 68.
103. Waliszewski, *Romance*, 349.
104. *Enc. Brit.*, XIX, 747b.
105. Waliszewski, *Romance*, 346.
106. Réau, II, 76.
107. *Ibid.*
108. 79.
109. Masson, *Memoirs of Catherine II and Her Court*, 93.
110. Gilbert, *Prince de Ligne*, 143.
111. Brückner, 112.
112. Morley, John, *Diderot*, II, 128; Rambaud, II, 245.
113. *Ibid.*, 247.
114. Masson, *Memoirs*, 303-06.
115. Catherine, 20.
116. Masson, 66.
117. Gooch in introd. to Catherine, *Memoirs*, 10.
118. Otto Hötzsch in *CMH*, VI, 701.

CHAPTER XIX

1. Gershoy, *From Despotism to Revolution*, 37.
2. Goodwin, *The European Nobility*, 161.
3. Waliszewski, *Poland the Unknown*, 127.
4. Bain, R. Nisbet, *The Last King of Poland*, 22; Friedländer, L., *Roman Life and Manners*, II, 162.
5. Bain, 43.
6. *Cambridge History of Poland*, II, 75.
7. *Ibid.*, 76-77; Coxe, Wm., *Travels in Poland*, II, 125.
8. *New CMH*, VII, 374; Lewinski-Corwin, E. H., *Political History of Poland*, 286.
9. Staël, Mme. de, *Germany*, I, 73.
10. Bain, *Last King of Poland*, 100.
11. *Ibid.*, 59.
12. 31-32.
13. See *The Age of Louis XIV*, 374, 385-87.
14. *CHP*, II, 24.
15. Lewinski-Corwin, 289.
16. Bain, *Last King*, 55.
17. *Ibid.*, 56.
18. Aldis, *Madame Geoffrin*, 248.
19. Florinsky, *Russia*, I, 517.
20. Aldis, 251.
21. *Ibid.*, 282.
22. *CHP*, II, 116; Bain, 161.
23. Bain, *Last King*, 121.
24. Rambaud, *History of Russia*, II, 188.
25. *CHP*, II, 118.
26. *CHP*, II, 97-98; Bain, 77-78.

27. Rambaud, II, 188.
28. Bain, *Last King*, 78.
29. *CHP*, II, 120.
30. Voltaire, *Philosophical Dictionary*, art. "Superstition," Sec. III.
31. Martin, H., *Histoire de France*, XVI, 267.
32. *CHP*, II, 102.
33. *Ibid.*, 103.
34. *Ibid.*; Bain, 108.
35. Bain, *Last King*, 108.
36. *Ibid.*, 2.
37. *Enc. Brit.*, XVIII, 143d.
38. Treitschke, *Life of Frederick the Great*, 164.
39. *CMH*, VI, 670.
40. Lewis, D. B. W., *Four Favorites*, 202.
41. Gershoy, 180.
42. Morley, John, *Life of Voltaire*, in Voltaire, *Works*, XXIb, 346; Florinsky, I, 537.
43. Coxe, *Travels in Poland*, I, 159.
44. Bain, *Last King*, 121.
45. *CHP*, II, 181-82.
46. Bain, 102.
47. *CHP*, II, 181-83.
48. *Ibid.*, 135.
49. Bain, *Last King*, 249.
50. *Ibid.*, 278.
51. *CHP*, II, 155.

CHAPTER XX

1. In Gooch, *Frederick the Great*, 65.
2. MacLaurin, C., *Mere Mortals*, 195.
3. Mowat, R. B., *The Age of Reason*, 61.
4. Gooch, *Frederick*, 121.
5. Mann, Thos., *Three Essays*, 213.
6. Sir James Harrison in Gooch, *Frederick*, 149.
7. In Rolland, *Musical Tour*, 214.
8. *New York Times*, Mar. 10, 1929.
9. Frederick, letter of Oct. 30, 1770, in Voltaire and Frederick, *Letters*, 314.
10. Crocker, Lester, *Age of Crisis*, 133.
11. Gooch, *Frederick*, 138.
12. Gershoy, *From Despotism to Revolution*, 86.
13. Voltaire and Frederick, *Letters*, 249.
14. Frederick to Voltaire, July 2, 1759, and Oct. 31, 1760, in *Letters*, 256, 270.
15. Bertaut, J., *Napoleon in His Own Words*, 463.
16. Treitschke, *Life of Frederick*, 182.
17. In Hazard, Paul, *European Thought in the 18th Century*, 333.
18. *Sainte-Beuve, Portraits of the 18th Century*, II, 344.
19. *Ibid.*, 347.
20. In Mowat, 105.
21. Morley, in Voltaire, *Works*, XXIb, 195.
22. Sainte-Beuve, I, 220-21.
23. Voltaire and Frederick, *Letters*, 282.
24. Carlyle, *History of Friedrich the Second*, IV, 179n.
25. Frederick to Voltaire, Feb. 10, 1767.
26. Chesterfield to his son, *Letter.*, June 23, 1752.
27. Schoenfeld, *Women of the Teutonic Nations*, 299.
28. Staël, Mme. de, *Germany*, I, 106; Gershoy, 75.
29. Paulsen, *German Education*, 142.
30. Gershoy, 284.
31. Carlyle, *Friedrich*, VII, 201.
32. Gershoy, 76; Renard and Weulersee, *Life and Work in Modern Europe*, 297.
33. *Ibid.*, 299.
34. Bruford, W. H., *Germany in the 18th Century*, 186.
35. *CMH*, VI, 718.
36. Gershoy, 84.
37. Frederick, *Testament* (1768), in *CMH*, VI, 723.
38. Bruford, 22.
39. Casanova, *Memoirs*, I, 349.
40. Burke, *Thoughts on French Affairs*, in *Reflections on the French Revolution*, 296.
41. Pascal, Roy, *The German Sturm und Drang*, 75-76.
42. Goethe, *Truth and Fiction*, I, 163.
43. Sime, James, *Lessing*, II, 131.
44. Schiller, *Poems*, 219-20. In *Works*.
45. Eckermann and Soret, *Conversations with Goethe*, 79.
46. Staël, Mme. de, *Germany*, I, 44.
47. Bruford, 39.
48. *Enc. Brit.*, IX, 152b.
49. Padover, *Revolutionary Emperor*, 289. Campbell, Thos., *The Jesuits*, 611.
50. Smith, Preserved, *History of Modern Culture*, II, 404.
51. Smith, N. K., *Commentary to Kant's "Critique of Pure Reason,"* 6.
52. Eckermann, introduction.
53. Staël, Mme. de, *Germany*, I, 118.
54. *Ibid.*, 116-17.
55. Goethe, *Truth and Fiction*, II, 251. In *Works*.
56. F. C. Schlosser in Monroe, Paul, *Textbook in the History of Education*, 580.
57. Morley in Voltaire, *Works*, XXIb, 153.
58. Nettle, *Mozart and Masonry*, 9.
59. Robertson, J. M., *Short History of Freethought*, II, 318.
60. *Ibid.*
61. 331.
62. Sime, *Lessing*, I, 27.
63. Garland, H. B., *Lessing*, 154.
64. *Ibid.*, 118.
65. Lessing, *Laocoön*, 190; Ch. xxvi, *ad. init.*
66. Bosanquet, *History of Aesthetic*, 221n.
67. Lessing, *Laocoön*, 56.
68. *Ibid.*, 57.

69. Sime, II, 4.
70. *Ibid.*, 55.
71. Lessing, *Hamburgische Dramaturgie*, No. 70, in Garland; 64.
72. Lessing, *Sämtliche Schriften*, X, 53, in Sime, II, 206.
73. Sime, II, 85.
74. Casanova, II, 271.
75. See *The Age of Voltaire*, 502.
76. Sime, II, 348.
77. Lessing, *Education of the Human Race*, No. 74 (Harvard Classics, Vol. XXXII, 212).
78. *Ibid.*, Nos. 85–86.
79. Brandes, *Goethe*, I, 434; Cassirer, *Philosophy of the Enlightenment*, 190.
80. Sime, II, 300; Brandes, *Goethe*, I, 434.
81. Sime, II, 346.
82. *Ibid.*, 330.
83. Klopstock, *The Messiah*, *ad finem*.
84. Goethe, *Truth and Fiction*, I, 79; II, 5. In *Works*.
85. *Penguin Book of German Verse*, 175.
86. *Ibid.*, 178–90.
87. Goethe, *Truth and Fiction*, II, 350. In *Works*.
88. Eckermann, 370 (Feb. 18, 1829).
89. Boehn, Max von, *Modes and Manners*, IV, 238.
90. Pascal, Roy, *The German Sturm und Drang*, 5.
91. *Ibid.*, 31.
92. Francke, Kuno, *History of German Literature*, 312.
93. *Ibid.*, 310.
94. Boehn, 124.
95. Schloss Tiefurt, near Weimar.
96. Schlossmuseum, Weimar.
97. Sanssouci Palace, Potsdam.
98. Winckelmann, II, 36.
99. Leipzig, Museum der Bildenden Künste.
100. Munich, Neue Pinakothek.
101. Dresden Gemäldegalerie.
102. Winterthur, Museum des Kunstvereins.
103. Schlossmuseum, Weimar.
104. Dresden Gemäldegalerie.
105. Weimar Museum.
106. Jahn, *Mozart*, III, 235.
107. Láng, P. H., *Music in Western Civilization*, 589.
108. *Grove's Dictionary of Music*, I, 175.
109. Jahn, II, 65.
110. *Grove's*, I, 145–55, 177–81.
111. Gooch, *Frederick*, 298.
112. Frederick, *Mémoires*, I, 56 f.
113. Gooch, 309.
114. *Ibid.*, 305.
115. 319.
116. 323.
117. Frederick, *Mémoires*, I, 56.
118. Gooch, *Frederick*, 319.
119. *Ibid.*, 280.
120. 292.
121. 287.
122. 287.
123. 291.
124. 89.
125. 294.
126. In Hauser, Arnold, *Social History of Art*, II, 602.
127. Pascal, Roy, *Sturm und Drang*, 42.
128. MacLaurin, *Mere Mortals*, 201.
129. Gooch, *Frederick*, 110.

CHAPTER XXI

1. Paulsen, *Immanuel Kant*, 26n.
2. Überweg, F., *History of Philosophy*, II, 139.
3. T. M. Greene in introd. to Kant, *Religion within the Limits of Reason Alone*, *xxviii*.
4. *Ibid.*, *xxx*.
5. Paulsen, *Kant*, 37.
6. Wilson, E. C., *Immanuel Kant*, 3.
7. Herder, *Briefe zur Beförderung der Humanität*, in Paulsen, *Kant*, 40.
8. Williams, H. S., *History of Science*, III, 27–28.
9. Lovejoy, Arthur, *The Great Chain of Being*, 266.
10. Harlow Shapley in Wilson, *Immanuel Kant*, 51.
11. Kant, *Critique of Judgment*, II, 78; Paulsen, 272n.
12. Überweg, II, 150.
13. Paulsen, 272n.
14. In Smith, N. K., *Commentary*, *xix*.
15. Kant, *Critique of Pure Reason*, 1st ed., 13 (preface).
16. *Critique of Judgment*, I, 3.
17. *Pure Reason*, 1st German ed., 10 (preface).
18. *Pure Reason*, 2d German ed., *xliii*.
19. *Ibid.*, *xxx*, *xxxiv*.
20. *Prolegomena to Any Future Metaphysics*, 9 (preface).
21. In Paulsen, 96.
22. *Pure Reason*, 1st Germ. ed., 112.
23. *Ibid.*, 125; *Prolegomena*, No. 36.
24. *Pure Reason*, 42.
25. *Ibid.*, 307, 375.
26. *Pure Reason*, 2d Germ. ed., 131–33, 136, 139, 143.
27. *Ibid.*, 428.
28. First ed., 622–23.
29. *Ibid.*, 627.
30. 671–73, 675.
31. 468.
32. 683–92, 698.
33. 700.
34. Karl Reinhold in Paulsen, 114.
35. *Prolegomena*, 13 (preface).
36. *Pure Reason*, first ed., 298, 752.

37. Robertson, J. M., *Short History of Freethought*, II, 337.
38. *Pure Reason*, 2d ed., *xxx*, *xxxiv*.
39. Kant, *Fundamental Principles of the Metaphysics of Ethics*, 35.
40. Kant, *Critique of Practical Reason*, 313.
41. *Ibid.*, 248, 259.
42. 142.
43. *Fundamental Principles*, 68.
44. *Ibid.*, 57.
45. *Practical Reason*, 108-9, 146.
46. *Pure Reason*, 2d ed., 571-73.
47. *Ibid.*, *xxviii*, 566-69, 580-81; *Practical Reason*, 164 f.
48. *Ibid.*, 259 f.
49. 260.
50. *Pure Reason*, 1st ed., 819.
51. Cassirer, *Rousseau, Kant, and Goethe*, 25.
52. Heine, H., *Religion and Philosophy in Germany*, in Paulsen, 8a.
53. *Critique of Judgment*, I, 18, 15.
54. *Ibid.*
55. 46.
56. *Critique of Judgment*, II, 89.
57. *Ibid.*, 117.
58. Kant, *Werke*, VI, 129, in Cassirer, *Rousseau, Kant, and Goethe*, 39.
59. Überweg, II, 141.
60. Kant, *Religion within the Limits of Reason Alone*, 3.
61. *Ibid.*, 8.
62. 8.
63. 28.
64. 29.
65. Kant, *Education*, No. 19.
66. Kant, *Religion*, 35.
67. Kant, "Conjectural Beginning of the History of Man," in Überweg, II, 186.
68. Kant, *Religion*, 51.
69. *Ibid.*, 147, 159-61.
70. 142-43.
71. 91.
72. 63.
73. 117.
74. 57, 134.
75. 186.
76. 183-85.
77. 153, 164-65, 168, 112.
78. *Ibid.*, *xxxiv*.
79. Kant, *A Philosophical Treatise on Perpetual Peace*, 10.
80. *Ibid.*, 28.
81. 32.
82. *Practical Reason*, 341n.
83. *Perpetual Peace*, 78.
84. Paulsen, 351.
85. *Perpetual Peace*, 29-30; Smith, N. K., *Commentary*, *lvii*.
86. *Education*, No. 30.
87. *Ibid.*, No. 7.
88. Paulsen, 374.
89. *Practical Reason*, 326n.
90. *Ibid.*, introd. by T. G. Abbott, *xliii*.
91. *Ibid.*, *xliv*.
92. Paulsen, 45.
93. *Ibid.*, 47; Klinke, *Kant for Everyman*, 105.
94. Stuckenberg, *Life of Kant*, 340-54, in Robertson, J. M., *Freethought*, II, 343.
95. Robertson, II, 345.
96. Letter of Apr., 1766, in *Religion within the Limits of Reason Alone*, introd., *xxxvi*.
97. Paulsen, 52.
98. Vaihinger, *The Philosophy of "As if,"* 313.
99. *Ibid.*, 316-17.
100. Witte, *Schiller*, 46.
101. Schiller, *Poems*, 290.
102. Eckermann, 79 (Apr. 14, 1824).
103. Emerson, lecture of 1842 on "The Transcendentalist," in Wilson, E. C., *Immanuel Kant*, 23.

CHAPTER XXII

1. Eckermann, 138 (Apr. 27, 1825).
2. Lewisohn, L., *Goethe*, I, 134.
3. Schiller to Körner, Aug. 8 and Sept. 10, 1787, in Schiller and Körner, *Correspondence*, I, 140-43.
4. Brandes, *Goethe*, I, 307.
5. Staël, Mme. de, *Germany*, I, 101.
6. Francke, *History of German Literature*, 253.
7. Wieland, *History of Agathon*, I, *xxiv*.
8. Francke, 255.
9. *Agathon*, I, 123 (Book III, Ch. ii).
10. *Ibid.*, Book III, Ch. iii.
11. In Francke, 258.
12. Eckermann, 285 (Sept. 26, 1827).
13. Mann, Thos., *Three Essays*, 8.
14. Goethe, *Truth and Fiction*, I, 385. In *Works*.
15. *Ibid.*, 155 f.
16. 209-30.
17. 178.
18. 175.
19. 233.
20. 318.
21. Goethe, *Works*, VII, 27.
22. *Truth and Fiction*, I, 306. In *Works*.
23. *Ibid.*, 367.
24. 368.
25. Brandes, *Goethe*, I, 71.
26. Autobiography of Heinrich Jung-Stilling in Lewisohn, I, 49.
27. In Ludwig, Emil, *Goethe*, 31.
28. *Truth and Fiction*, I, 407.
29. In Ludwig, 42.
30. Eckermann, 291 (Oct. 8, 1827).
31. E.g., *Truth and Fiction*, II, 43.
32. *Ibid.*, 75.
33. Letter of June, 1771, in Lewisohn, I, 57.

34. *Truth and Fiction*, II, 120.
35. *Ibid.*, 143.
36. Brandes, I, 140.
37. Ludwig, 57.
38. Goethe, *Götz von Berlichingen*, Act I, Sc. ii.
39. *Truth*, II, 167.
40. From Kestner's diary, in Lewisohn, I, 71.
41. *Truth*, II, 188.
42. *Ibid.*, 214
43. 214.
44. Brandes, I, 273.
45. In Ludwig, 87.
46. Lewisohn, I, 101.
47. *Truth*, II, 216-17.
48. Eckermann, 52 (Jan. 2, 1824).
49. Goethe, *Werther*, letters of July 19 and 21 and Aug. 30, 1771.
50. Goethe, letter to Kestner, Nov. 20, 1774, in Lewisohn, I, 105.
51. Sime, *Lessing*, II, 200.
52. Lewisohn, I, 101.
53. Kestner, letter to Hennings, Nov. 18, 1772, in Pascal, *German Sturm und Drang*, 108.
54. *Truth*, Book XII.
55. In Ludwig, 94.
56. Lavater's diary, June 28, 1774, in Lewisohn, I, 99.
57. Goethe's letter of Nov. 12, 1816, in Lewisohn, II, 262.
58. Lewisohn, I, 295.
59. *Truth*, II, 261, 309.
60. Translation in Carus, Paul, *Goethe*, 245-47.
61. *Truth*, II, 318, 327.
62. *Ibid.*, 366.
63. Clark, Robert, *Herder*, 160.
64. *Truth*, II, 11.
65. *Ibid.*, 16.
66. In Pascal, *German Sturm und Drang*, 225.
67. Heiseler, B. von, *Schiller*, 49.
68. Schiller, *Poems*, 7. In *Works*.
69. *Ibid.*, 9.
70. Carlyle, *Life of Schiller*, 15. In *Works*.
71. Schiller, *The Robbers*, Act I, Sc. ii.
72. *Ibid.*, II, iii.
73. *Ibid.*
74. V, i.
75. Heiseler, 47.
76. Ungar, Frederick, *Friedrich Schiller*, 34.
77. Witte, *Schiller*, 131.
78. Heiseler, 83.
79. Schiller, *Philosophical Letters*, p. 376 (Letter I). In *Works*.
80. *Ibid.*, 385 (Letter IV).
81. Schiller and Körner, *Correspondence*, I, 12.
82. *Ibid.*, 13-16.
83. Heiseler, 85.
84. *Ibid.*
85. Schiller and Körner, *Correspondence*, I, 30-33.
86. Körner to Schiller, July 8, 1785, in *Correspondence*, I, 36.

CHAPTER XXIII

1. Einstein, *Mozart*, 19.
2. Goethe, *Truth and Fiction*, I, 291. In *Works*.
3. Schiller to Körner, July 28 and Aug. 29, 1787.
4. Schiller and Körner, *Correspondence*, I, 85.
5. *Ibid.*, 90, 168.
6. Wieland, *Oberon*, introd.
7. Brandes, *Goethe*, II, 266-69.
8. Lewisohn, II, 209.
9. Schiller and Körner, I, 85.
10. Pascal, *German Sturm und Drang*, 17.
11. *Ibid.*, 18.
12. 17.
13. Goethe to Jacobi, Nov. 12, 1783.
14. Goethe to Lavater, December, 1783.
15. Schiller and Körner, I, 85.
16. Clark, *Herder*, 240.
17. Bancroft, Geo., *Literary and Historical Miscellanies*, 173.
18. Herder to Hamann, Jan. 13, 1777, in Pascal, 95.
19. Clark, *Herder*, 274-77.
20. Herder to Jacobi, Feb. 6 and Dec. 30, 1784, in Pascal, 104.
21. Pascal, 104.
22. Clark, 340.
23. Pascal, 106.
24. Clark, 303.
25. *Ibid.*, 322.
26. 357.
27. 368.
28. Lewisohn, I, 133.
29. *Ibid.*
30. 153.
31. Eckermann, 285 (Sept. 26, 1827).
32. Lewisohn, I, 134.
33. *Ibid.*, 135.
34. 137-40.
35. 141.
36. 146.
37. 150.
38. Goethe to Charlotte von Stein, May 24, 1776.
39. Lewisohn, I, 151.
40. *Ibid.*, 156.
41. 222.
42. Brandes, I, 335.
43. Lewisohn, I, 327.
44. *Ibid.*, 236.
45. 271.
46. 306.
47. Eckermann, 251 (Apr. 25, 1827).
48. Goethe's diary, in Lewisohn, I, 215.
49. Ludwig, 440.
50. Translation by Longfellow.
51. Lewisohn, I, 232.

52. See *The Age of Reason Begins*, 259-65.
53. Goethe, *Tasso*, Act I, Sc. ii.
54. *Ibid.*, II, i.
55. I, ii.
56. *Ibid.*
57. Letter of Apr. 24, 1783, in Lewisohn, I, 266.
58. Ludwig, 155.
59. Lewisohn, I, 309.
60. Ludwig, 217.
61. Letter of Oct. 8, 1786, in *Letters from Italy*, 177.
62. Ludwig, 222.
63. Städelsches Museum, Frankfurt.
64. Lewisohn, I, 320.
65. *Ibid.*, 322.
66. Eckermann, 133, 201 (Jan. 30, 1825, and Jan. 18, 1827).
67. *Letters from Italy*, Dec. 3, 1786, and Feb. 16, 1787.
68. *Ibid.*, Dec. 1 and 3, 1786.
69. Feb. 3, 1787, in Lewisohn, I, 327.
70. In McKinney and Anderson, *Music in History*, 511.
71. Eckermann, 213 (Jan. 29, 1827).
72. Taine, *Philosophy of Art*, in Brandes, *Goethe*, I, 457.
73. Letter of Dec. 13, 1786, in Lewisohn, I, 323.
74. Lewisohn, I, 353.
75. Brandes, I, 469.
76. Lewisohn, I, 257.
77. Goethe, *Poetical Works*, 34-42. In *Works*.
78. Lewisohn, I, 368.
79. Ludwig, 300.
80. Brandes, II, 50.
81. Letter of Jan. 3, 1781, in Lewisohn, I, 229.
82. Examples in Lewisohn, I, 101-2, 186-88, 196-97, 229, 379.
83. Ludwig, 246.
84. Schiller and Körner, *Correspondence*, I, 112.
85. *Ibid.*, 89 (Aug. 28, 1787).
86. Letters of July 28 and Aug. 18, 1787.
87. *Don Carlos*, Act III, Sc. x.
88. Schiller to Körner, Apr. 15, 1786.
89. Körner to Schiller, November, 1788.
90. Schiller to Körner, Sept. 12, 1788.
91. Schiller and Körner, *Correspondence*, II, 330.
92. Letter of May 28, 1789.
93. Carlyle, *Life of Schiller*, 103. In *Works*.
94. Letter of Dec. 7, 1787.
95. Heiseler, 114.
96. Letter of Mar. 1, 1790.
97. Heiseler, 119.
98. Schiller to Körner, Feb. 22, 1791.
99. Letter of May 24, 1791.
100. Schiller, *Essays*, 203. In *Works*.
101. *On the Aesthetic Education of Mankind*, Letters VII and X in *Essays*, 45, 53.
102. Letter of May 5, 1792.
103. Ludwig, 326.
104. Schiller, *Poems*, 272. In *Works*.
105. Schiller to Goethe, Aug. 17, 1795, in Schiller and Goethe, *Correspondence*, I, 88-89.
106. *On Naive and Sentimental Poetry*.
107. Eckermann, Oct. 7, 1827.
108. *Cf.* letter to Körner, Aug. 29, 1787.
109. Schiller to Goethe, Aug. 23, 1794.
110. Schiller to Goethe, Aug. 31, 1794.
111. Goethe, "Happy Incident," in Carlyle, *Life of Schiller*, 305. In *Works*.
112. Schiller and Goethe, *Correspondence*, I, 1.
113. *Ibid.*, 5.
114. 6.
115. Schiller to Körner, Feb. 1, 1796.
116. In Ungar, *Schiller*, 129.
117. *Ibid.*, 140.
118. Schiller, *Essays*, 286, 321. In *Works*.
119. *Wilhelm Meisters Lehrjahre*, I, 324.
120. Schiller to Körner, Dec. 9, 1794, Feb. 22, 1795, June 15, 1795, July 2, 1796.
121. Letters of July 2–9, Oct. 9, and Oct. 23, 1796.
122. Goethe to Schiller, July 7, 1796.
123. Eckermann, Mar. 23, 1829.
124. Ludwig, 385-86.
125. Eckermann, Mar. 22, 1825.
126. Lewes, G. H., *Life of Goethe*, II, 202.
127. Goethe to Schiller, Jan. 18, 1797.
128. *Hermann and Dorothea*, 56-57. In *Works*.
129. Brandes, II, 470.
130. Schiller to Körner, Jan. 5, 1800.
131. Eckermann, July 23, 1827.
132. Heiseler, 143.
133. Ludwig, 386.
134. Schiller to Charlotte Schimmelmann.
135. Goethe to Schiller, Feb. 28, 1801.
136. Eckermann, Oct. 7, 1827.
137 Lewisohn, I, 61.
138. Letter of Jan. 20, 1801.
139. Heiseler, 170.
140. Staël, Mme. de, *Germany*, I, 182.
141. Schiller to Goethe, Dec. 21, 1803, in Lewisohn, II, 92.
142. *Ibid.*
143. Staël, 23-24.
144. Lewisohn, II, 293.
145. Heiseler, 189.
146. Eckermann, Jan. 18, 1827.
147. Witte, *Schiller*, 38.
148. Goethe to Zelter, June 1, 1805, in Lewisohn, II, 107.

CHAPTER XXIV

1. *Cf.* final lines of *Faust*, Part II.
2. Brandes, *Goethe*, II, 250.
3. Recollections of Friedrich von Müller, in Lewisohn, II, 161.
4. Brandes, 263-64.
5. *Ibid.*

6. Eckermann, Mar. 15, 1829.
7. For the historical background of the Faust legend see *The Reformation*, 852.
8. Goethe, *Truth and Fiction*, II, 21-22. In *Works*.
9. Lewisohn, I, 123.
10. *Ibid.*
11. Eckermann, Feb. 10, 1829.
12. Brandes, 305.
13. In the *Gesamtausgabe* by Breitkopf and Härtel.
14. Translation by Albert Latham in Everyman's Library ed. of *Faust*.
15. Eckermann, Jan. 10, 1825.
16. Latham's translation, p. 52.
17. *Ibid.*, 117-19.
18. 116.
19. Brandes, 229.
20. Lewisohn, II, 174.
21. *Elective Affinities*, English tr., 335. In *Works*.
22. *Ibid.*, 180.
23. 218.
24. Ludwig, 427.
25. *Ibid.*, 429.
26. 453.
27. Lewisohn, II, 202-4.
28. Ludwig, 515
29. Lewisohn, II, 250.
30. *Ibid.*, 303.
31. 304.
32. 306-8.
33. Ungar, Frederick, *Goethe's World View*, 9.
34. Magnus, Rudolf, *Goethe as a Scientist*, 221.
35. *Ibid.*, *xvii-xviii*, 209.
36. 167.
37. 178.
38. Goethe's letter of May 17, 1767.
39. Magnus, 73.
40. *Ibid.*, 78; Brandes, 462.
41. *Ibid.*, 429.
42. Magnus, 42.
43. Ludwig, 188.
44. Magnus, 136.
45. Eckermann, Apr. 16, 1825.
46. Ungar, *Goethe's World View*, 31.
47. *Ibid.*, 77.
48. *Faust*, Part II, line 1754.
49. Ungar, *Goethe's World View*, 9, 105.
50. Letter of Jan. 6, 1798.
51. Ungar, 99.
52. Goethe, *Truth and Fiction*, II, 108. In *Works*.
53. Quoted in Mann, *Three Essays*, 49.
54. *Truth and Fiction*, Part III, Book 11.
55. Ludwig, 3. .
56. Ungar, *Goethe's World View*, 47.
57. *Ibid.*
58. *Truth and Fiction*, II, 272-73.
59. Lewisohn, I, 255.
60. *Truth and Fiction*, Book XIV.
61. Ungar, *Goethe's World View*, 47.
62. *Ibid.*, 41.
63. 37.
64. 37.
65. 43-45; Smith, Preserved, *Age of the Reformation*, 712.
66. *Truth and Fiction*, II, 311 f.
67. Ungar, *Goethe's World View*, 55.
68. Ludwig, 206.
69. *Ibid.*, 457.
70. Recollections of Johann Falk, in Lewisohn, II, 210.
71. Goethe to Zelter, May 11, 1820.
72. Brandes, I, 437.
73. Ungar, *Goethe's World View*, 81.
74. *Ibid.*, 6.
75. Eckermann, Apr. 2, 1829.
76. Ungar, 167.
77. *Ibid.*, 129.
78. 139.
79. 16.
80. 89.
81. *Truth and Fiction*, I, 421.
82. *Wilhelm Meisters Lehrjahre*, Book VII, Ch. iii.
83. *Ibid.*, Book V, Ch. iii.
84. Carus, *Goethe*, 168.
85. *Faust*, Part II, Act II.
86. Eckermann, Jan. 4, 1824.
87. Ungar, *Goethe's World View*, 50.
88. Eckermann, Feb. 13, 1829.
89. Ungar, 141.
90. *Ibid.*
91. 91.
92. Lewisohn, II, 438.
93. *Faust*, Part II, p. 341.
94. *Ibid.*, 407.
95. Friedrich von Müller, in Lewisohn, II, 370.
96. *Ibid.*, 371.
97. 376.
98. 430.
99. Goethe to Zelter, Dec. 14, 1830.
100. Lewisohn, II, 411.
101. Ungar, *Goethe's World View*, 131.
102. Mann, *Three Essays*, 63.
103. *Truth and Fiction*, II, 246.
104. Ludwig, 293.
105. *Ibid.*, 472.
106. In Mann, 47.
107. Lewisohn, II, 254.
108. In Friedell, Egon, *Cultural History of the Modern Age*, I, 272.
109. In Mann, 64.
110. We have followed the account given by K. W. Müller in 1832, in Lewisohn, II, 449 f.
111. Eckermann, 572.

CHAPTER XXV

1. In Masson, P. M., *La Religion de Rousseau*, II, 240.

2. See "Sermon of Rabbi Akib," and art. "Jews" in *Philosophical Dictionary*.
3. *Ibid.*, Sec. III.
4. Sec. IV.
5. See *The Age of Voltaire*, Ch. xiii, Sec. VII.
6. Cf. Black, J. B., *The Art of History*, 49-50.
7. Graetz, H., *History of the Jews*, V, 346.
8. Gay, *Voltaire's Politics*, 352.
9. Graetz, V, 347.
10. Rousseau, *Emile*, 267-68.
11. Sombart, W., *The Jews and Modern Capitalism*, 56.
12. Lea, H. C., *History of the Inquisition in Spain*, III, 308-11.
13. Altamira, *History of Spain*, 462.
14. Parton, *Life of Voltaire*, I, 161.
15. Bell, Aubrey, *Portuguese Literature*, 280.
16. Lea, III, 310.
17. Abbott, G. F., *Israel in Europe*, 209.
18. Abrahams, I., *Jewish Life in the Middle Ages*, 224.
19. *Ibid.*
20. Padover, *The Revolutionary Emperor*, 252.
21. *Jewish Encyclopedia*, XII, 434; Padover, 253 f; Graetz, V, 357.
22. Padover, 257.
23. Letter of May 17, 1717, in Montagu, Lady Mary W., *Letters and Works*, II, 321.
24. Dubnow, S. M., *History of the Jews in Russia and Poland*, I, 255-56; Florinsky, *Russia*, I, 490.
25. Dubnow, I, 307.
26. *Ibid.*, 189.
27. 169-71.
28. 173.
29. 172-79.
30. 179-80.
31. 182-86.
32. Roth, Cecil, *The Jewish Contribution to Civilization*, 28.
33. Sombart, 23.
34. *Jew. Enc.*, XIX, 418a.
35. *Ibid.*, 415-16.
36. Corti, Egon C., *Rise of the House of Rothschild*, I, 19.
37. George, M. Dorothy, *London Life in the 18th Century*, 127.
38. Besant, Sir Walter, *London in the 18th Century*, 178.
39. Roth, 242.
40. Finkelstein, Louis, ed., *The Jews*, I, 260.
41. Besant, 180.
42. Browne, Lewis, *The Wisdom of Israel*, 551.
43. Dubnow, I, 233.
44. *Ibid.*, 222 f.; Baron, Salo, *Social and Religious History of the Jews*, II, 54 f.; Graetz, V, 374 f; Howe and Greenberg, *Treasury of Yiddish Stories*, 15 f.
45. Graetz, V, 294.
46. Hensel, S., *The Mendelssohn Family*, 4.
47. Sime, *Lessing*, I, 133.
48. Graetz, V, 298.
49. In Wolf, A., *History of Science . . . in the 18th Century*, 781.
50. Graetz, V, 309.
51. *Ibid.*, 311.
52. Hensel, 10.
53. Graetz, V, 317.
54. *Jew. Enc.*, VIII, 482d.
55. Graetz, V, 365.
56. *Ibid.*, 355.

CHAPTER XXVI

1. Voltaire, *Works*, 1b, 302.
2. In Herold, J., *The Swiss without Halos*, 106.
3. Oechsli, W., *History of Switzerland*, 290.
4. Parton, *Life of Voltaire*, II, 458.
5. Lewisohn, II, 238-39.
6. Goethe, *Truth and Fiction*, II, 240-46, 252, 375, 398-404. In *Works*.
7. Holberg, Ludwig, *Selected Essays*, p. 48 (Epistle 48).
8. Lady Mary Wortley Montagu, letters of Aug. 3 and 5, 1716, in *Letters and Works*, II, 226-27.
9. Desnoiresterres, *Voltaire et la société française*, I, 237.
10. *Boswell in Holland*, 288.
11. Cumming, Ian, *Helvétius*, 50.
12. Smith, Adam, *Wealth of Nations*, I, 81.
13. Parton, *Life of Voltaire*, I, 152.
14. Blok, P. J., *History of the People of the Netherlands*, Part V, 174 f.; Robertson, J. M., *Short History of Freethought*, II, 353.
15. Blok, V, 183.
16. *Ibid.*, 92.
17. 86.
18. Dillon, Edw., *Glass*, 295 f.; Sitwell, S., *The Netherlands*, 147.
19. George Dempter to Boswell, Aug. 26, 1763.
20. *Boswell in Holland*, 93.
21. *Ibid.*, 317.
22. Herold, *Mistress to an Age*, 143.
23. *Ibid.*, 144.
24. Blok, V, 56.
25. *Ibid.*, 108.
26. Horn, F. W., *History of the Literature of the Scandinavian North*, 187.
27. Freedley and Reeves, *History of the Theatre*, 268.
28. Holberg, *Seven One-Act Plays*, 165-87.
29. Matthews, Brander, *The Chief European Dramatists*, 705.
30. Holberg, *Journey of Niels Klim to the World Underground*, 10.
31. *Ibid.*, 18.
32. 32.

33. 109.
34. 191.
35. 109.
36. Translation by Longfellow, in Van Doren, Mark, *Anthology of World Poetry*, 981.
37. Horn, *Scandinavian Literature*, 217.
38. Goodwin, A., *European Nobility*, 136.
39. *CMH*, VI, 762.
40. Bain, R. N., *Gustavus III*, I, 56.
41. *CMH*, VI, 768.
42. Bain, *Gustavus III*, I, 124.
43. Andersson, Ingvar, *History of Sweden*, 281.
44. Higgs, *The Physiocrats*, 87.
45. Bain, *Gustavus III*, I, 163.
46. *CMH*, VI, 776.
47. *Enc. Brit.*, XXI, 653d; Smith, Preserved, *History of Modern Culture*, II, 460, 108.
48. Gustafson, Alrik, *History of Swedish Literature*, 112, 136.
49. Bain, *Gustavus III*, I, 260; Horn, 355.
50. Bain, II, 239.
51. Horn, 359 f.
52. Gustafson, 139 f.
53. Bain, *Gustavus III*, II, 286-88; Gustafson, 139 f.
54. Horn, 369.
55. Bain, II, 210.
56. *Ibid.*, I, 38.
57. *Ibid.*, II, 157.